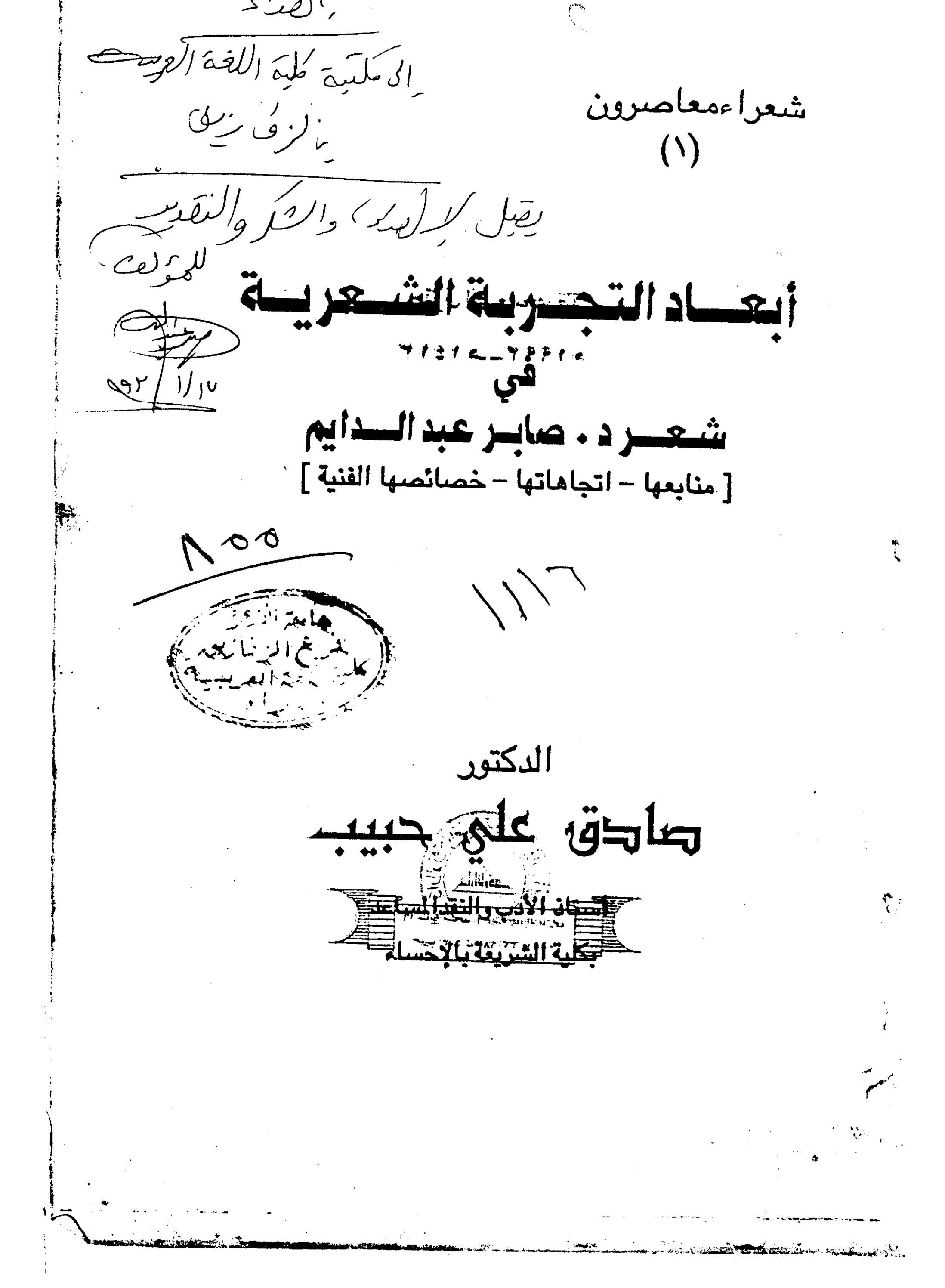


شعراء معاصرون
(١)

أبعاد التجربة الشعرية
في
شعر د. صابر عبد الدايم

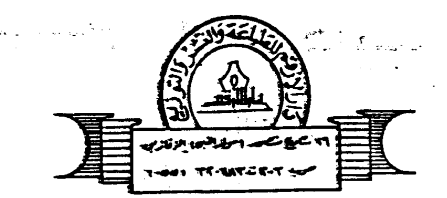
[منابعها - اتجاهاتها - خصائصها الفنية]

الدكتور

صادق علي حبيب

أستاذ الأدب والنقد المساعد
بكلية الشريعة بالإحساء

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



إهداء

إلى مهد العلم

وموئل الأدب

ومثابة الفكر

ومنهل الثقافة

ومنبع المعرفة

ومنارة الهداية

ومعقل التراث

ومعين الفصاحة

ومورد البلاغة

ومشرق البيان

إلى الأزهر الشريف

وفاء

وإجلالا

وإكبارا

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لعل مما حفزنى إلى كتابة هذا البحث الذى تناولت فيه شاعرا معاصرا من شعراء الأزهر المعاصرين مازالت إبداعاته الشعرية تتوالى ، ومازال يشنف الآذان بروائعه ، ويملأ الدنيا ببدائعه ، هو ذلك الجحود الذى يلقاه أساتذة الأزهر الشريف وشعراؤه وأدباؤه ونقاده من الباحثين والدارسين وحملة الأقلام، وعدم العناية بنتاجهم الأدبى مع مافيه من غناء وثراء ، وما يحويه من قيم أخلاقية سامية ومثل إنسانية رفيعة تسمو بالنفس وترقى بالحس، وتعرج بالروح إلى معارج الكمال والصفاء ، وتهذب الغرائز وتحلق فى سماوات الطهر والنقاء .

وعجيب بل غريب أن يظل هذا النتاج الأدبى المثالى الثر غفلا من الباحثين والدارسين ، لا لشئ إلا لأنه انبثق من الأزهر وتفجر فى رحابه ، وانبجس فى أروقته ، ونبع فى أرضه ، ولمع فى سمائه ، وحبا فى مهده ، وترعرع فى ظلاله، فى الوقت الذى ييمم فيه هؤلاء وجوههم شطر نتاج غيرهم دراسة واقتباسا واستئناسا وهو فى معظمه لايرقى إلى نتاجهم الأدبى والفكري.

بل لا أكون مبالغا إذا قلت : إن كثيرا من ذلك النتاج الذى يعنى به الباحثون لايحمل من القيمة العلمية والأدبية مثل مايحمل النتاج الأزهرى الذى يحلق فى فلك تراثنا العربى والإسلامى ، بينما يحلق غيره فى فلك الأدب الغربى ومدارسه الحديثة التى لاتتوانى فى النيل من أدبنا العربى وتراثنا الشعرى الإسلامى.

ولعلنى لا أكون مجاوزاً للحد إذا قلت : إن كثيراً من شعراء الأزهر وأدبائه يسهمون بالقسط الأكبر فى هذا الجحود وذلك الإهمال ، فمنهم من يضن بنتاجه الأدبى على الباحثين والدارسين لسبب أو لآخر ، ولى فى هذا

تجربة لا أود ذكرها ، فكيف يكتب عنهم ونتاجهم حبيس نفوسهم ؟! .

هذا فضلا عما تسهم به وسائل النشر فى هذا المجال وبخاصة مجلة الأزهر ومجلة منبر الإسلام ، فأبوابهما فى وجوه شباب الأزهر موصدة ، ودوربهما أمام أقلامهم غير ممهدة .

فلماذا لاتتبنى مجلة الأزهر ومنبر الإسلام نشر الدراسات الأدبية والنقدية لباحثى الأزهر التى تتناول نتاج أدباء الأزهر وشعرائه ؟.

ولماذا لاتنشئ الجامعة الأزهرية رابطة أدبية تعنى بنشر إبداع الأدباء والدارسين؟.

ولو فعلت ذلك لاسهمت اسهاما كبيرا ومشكورا فى التعريف بأعلام الأزهر وأجياله الادبية ، ولأماطت اللثام عن الإبداع الأدبى الأزهرى ، ولما أصبح شأن الكثرة الكاثرة من أدباء الأزهر وشعرائه تموت وتحيا فلاتحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ...

ومما حفزنى أيضاً إلى تناول هذه الشخصية الشاعرية بالدراسة هو إعراض كثير من الباحثين عن تناول الأعلام الأحياء من الآدباء والشعراء بالدراسة ، جريا على عادة عقيم لاتمت للبحث العلمى وحركة الإثراء الفكرى بصلة ، وهى عدم دراسة الأحياء من الآدباء والشعراء ، خشية المجاملة والمحاباة ، وضمانا لنزاهة البحث العلمى .

وقد أدى هذا الفهم العقيم إلى عقم الدراسات الآدبية ، وضياع كثير من ملامح حياة الأعلام من الآدباء والشعراء، وتركها لاجتهاد المجتهدين وظن الظانين ، بل وضياع هؤلاء الأعلام فى كثير من الأحيان ، وتراثنا الشعرى ملئ بأسماء شعراء وآدباء لانعثر لهم على ترجمة ، ولانعرف عنهم إلا أسماءهم ، فماذا تعرف عن الشعراء الذين أخملهم أبوتمام ؟ . واين نتاجهم؟ هذا فضلا عن كثير من الشعراء الذين أهملوا ونسوا عبر العصور الآدبية فلم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم .

وإذا كان ما يكتب من دراسات عن الأعلام الأحياء من الشعراء والأدباء لا يخلو أحيانا من مجاملة ومحاباة ، فإنه لايخلو أيضا من إنصاف ونقد ومواجهة ، ومع هذا ففيه مافيه من إثراء الحياة الآدبية والنقدية ، وليس أدل على ذلك من الدراسات التى كتبت عن شوقى وحافظ والمنفلوطى والعقاد ، وشكرى والمازنى وعبدالله عقيفى ، وطه حسين والرافعى ، والمقالات النقدية التى تناولت نتاجهم الأدبى فى حياتهم ، التى تعد مصدرا أساسياً فى الدراسات الأدبية والنقدية حتى وقتنا هذا.

والذى لاشك فيه أن دراسة أعلام الأدب فى حياتهم تغنى الحياة الأدبية، وترتقى بالفن وتعد باعثا من بواعث التجويد ، لما تحمله من تقويم وتوجيه .

وإلى جانب هذه الدوافع التى حفزتنى إلى هذه الدراسة يأتى تنوع الدراسات والمقالات الأدبية التى تناولت بعض أعمال شاعرنا «صابر عبدالدايم» منفصلة عن بقية شعره ، بل إن منها من وقف عند دراسة قصيدة واحدة، فلم ترسم لنا صورة كاملة لشعره ، ومراحل تطوره ، وخصائص كل مرحلة ، ومن هنا جاء الحكم على الشاعر قاصراً يفتقر إلى الدقة ، ويعوزه الاستقصاء ، وليس من الصواب فى شئ أن نحكم على شاعر من خلال قصيدة واحدة أو ديوان واحد دون بقية دواوينه ، وليس أدل على ذلك من تضارب بعض الآراء التى تناولت ظاهرة واحدة فى شعره كظاهرة الرمز وأثره فى غموض معانيه وصوره ، فقد أشار د/عبدالحكيم حسان فى تقديمه لديوان « المريا وزهرة النار» إلى هذا الغموض الناتج عن الإيغال فى الرمز ، فى الوقت الذى ذهب فيه د/ ناجى فؤاد فى عرضه للديوان المذكور إلى أن الرمز فى قصائد الديوان يشف عما تحته من معنى ، وليس فيه إيغال ولاغموض ، وقد جاء هذا الخلط نتيجة عدم إفادة أصحاب تلك المقالات مما كتب عن الشاعر.

وإضافة إلى هذا فإن هذه الدراسة تعد إطلالة على دور الأزهر الشريف

فى الحياة الأدبية ، وهو دور فعال منذ كان الأزهر ، وإن حاول بعض المتأدبين إغفال هذا الدور لذلك الصرح الأدبى السامق ، واتهامه أحيانا - بالجمود والتوقف ، وعدم مواكبة الركب الحضارى ، والتقدم العلمى والفكري، وعدم الإفادة من التيارات الأدبية الحديثة .

هذا وقد تناولت فى دراستي هذه الحديث عن الشاعر وبيئته ، وأثر البيئة فى أخلاقه وشعره ، ثم تحدثت عن ثقافته وروافدها وأثرها فى شعره ومذهبه الأدبى ومفهومه للشعر ووظيفة الشاعر ورسالته ، ثم تحدثت عن الاتجاهات الموضوعية فى شعره التقليدية منها والتجديدية ، ثم الاتجاهات الفنية فى شعره ، وقد خلصت إلى أن البيئة التى ينشأ فيها شاعرنا كان لها أثرها فى أخلاقه وأدبه ، فقد كانت « الشرقية » تعج بالأدباء والشعراء ، مما أتاح لشاعرنا فرصة الإفادة من هؤلاء الأعلام ، والتأثر بهم ، كما كان لنشأة الشاعر الدينية ، وحفظه للقرآن الكريم فى طفولته المبكرة أثره فى تأصيل القيم الأخلاقية فى نفسه ، فضلا عن دراسته فى رحاب الأزهر الشريف التى مكنته من الوقوف على التراث العربى والإسلامى ، واستيعابه ، وقد كان لهذا أيضا أثره فى توجهه الشعرى ، فكان الشعر العمودى الذى يغص بالقيم والمعانى الدينية .

كما كان لسعة إطلاعه على نافذة الأدب الحديث بتياراته الفكرية والوجدانية أثر فى تشكيل عالمه الشعرى والشعورى ، فكانت الصياغة الإحيائية إلى جانب الصياغة الرومانسية الوجدانية ، إلى جانب الصياغة الحرة ، ومن هنا فإن شعر « د. صابر » يمثل المراحل الفنية التى مر بها شعرنا العربى الحديث ، وخصائصه الفنية والفكرية .وقد كان لنا مع الشاعر فى أثناء هذه الدراسة وقفات نقدية منها مايتعلق بالألفاظ ، والمعانى ، والصورة الشعرية ، ومنها مايتعلق باتجاهاته الفنية وبخاصة موقفنا من الشعر الحر ، وهى لاتغض من قيمة الشاعر أو منزلته الأدبية ، ولكنها إشارة

إلى أن الدراسة الأدبية المنصفة هى التى تقول فى موضوعية تامة ما للشاعر وما عليه بعيدا عن كل المؤثرات التى يمكن أن تؤثر على الحكم على الشاعر أو شعره.

وقد حرصت جهدى فى هذه الدراسة على الأمانة العلمية ، والإفادة من كل ما كتب عن الشاعر ونشر فى المجلات الأدبية العربية والمصرية ، وقد أمدنى الشاعر مشكوراً بما كتب ونشر عنه فى المجلات العربية ، وقد كان لهذا الصنيع المشكور أثره فى ميلاد هذا البحث الذى يعد لبنة فى صرح الحياة الأدبية ، ومشعلا يضيئ الطريق أمام الباحثين للإقبال على شعر شاعرنا « د. صابر » وغيره من شعراء الأزهر الشريف وأدبائه ، دراسة وتحليلا ونقدا ، ووقوفا على مافيه من قيم دينية وأخلاقية .

والله من وراء القصد وهو هادى السبيل

د. صادق حبيب

السعودية : الإحساء
في٢٦جمادي الآخرة ١٤١٢ه
١ من يناير ١٩٩٢ م

تمهيد

التعريف بالشاعر

أولاً : مولده وبيئته :-

شاعرنا هو الشاعر الموهوب والأديب المطبوع ، والغريد الملهم ، والناقد اللماح ، والشاعر الإنسان والإنسان الشاعر ، والشاعر العالم الدكتور/ صابر عبدالدايم ، وهو شاعر عربى إسلامى أصيل ، وناقد أدبى ، له فى عالم الشعر صولات ، وفى ميدان الإبداع الأدبى والنقد جولات . شعره أغنيات وآهات ، ونقده ، ينبئ عن ثقافة واسعة ، ورؤية ثاقبة ، وفهم دقيق ، ووعى فنى عميق ، وذوق شاعرى يكسب النقد رونقا ، ويضفى عليه جمالا ، فهو نقد شاعرى ، والناقد الشاعر أقدر على تذوق النص ، واستكناه أسراره، وسبر أغواره ، ومعرفة دروب الجمال فيه من الناقد غير الشاعر ، فلاعجب إذا ماجاء نقده فنيا شاعريا ، يثير كوامن النفس ، ويثرى مراقي الحس لدى القارئ ، ويربى فيه ذوقه ، وينمى فيه الإحساس بالجمال.

وقد ولد الشاعر العالم « صابر عبدالدايم » فى ١٥ مارس عام ١٩٤٨م بقرية « الصياغ » على مشارف « ديرب نجم » وهو إقليم من إقاليم محافظة الشرقية ، التى وهبها الله ما وهب من جمال الطبيعة ، واعتدال المناخ ، وطيب الهواء ، ووفرة الماء ، وكثرة الزروع والنخيل ، فكانت قبلة الوافدين عليها من الجزيرة العربية إبان الفتوحات الإسلامية ، وقد وجد فيها الوافدون طيب المقام فاقاموا ، ومن قبل جذبت الشرقية بطبيعتها الساحرة قدماء المصريين ، وفراعنة مصر ، فاتخذوا منها موطنا ، ومازالت آثارهم فى ربوعها شاخصة ناطقة ، تدل على ماكان للشرقية فى نفوسهم من حب وإعزاز.

وقد كان لهذه البيئة أثر كبير فى أخلاق أهلها وطباعهم ، ولايخفى ماللبيئة من أثر فى أخلاق البشر وطبائعهم ، وألوانهم ، وقد فطن إلى ذلك العلامة « ابن خلدون » فقد عقد فصولا فى "مقدمته" بين فيها أثر الهواء فى

أخلاق البشر وأجسادهم وألوانهم ، وكذلك أثر الخصب والجوع واختلاف أحوال العمران فى الأخلاق[1] والأبدان ، وقد مهد « ابن خلدون » بذلك الطريق لعلماء الغرب أمثال : لامارك ، وداروين ، وتاين ، وكمونتيسكو ، فكان علم الانثروبولوجى الذى يبحث فى طبائع الكائنات وأحوالها .

ومن هنا كان الشرقاويون من أعدل الناس أجساما وألوانا ، وألطفهم أخلاقا، وأوفرهم حصافة ، وأرجحهم أحلاما ، وأذكاهم أفهاما وأصفاهم أذهانا ، وأجودهم قريحة ، وأصدقهم لهجة ، وأفصحهم لسانا ، وأنصعهم بيانا ، ولاعجب فـ "البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا[2]

لذا فقد برز أهل الشرقية فى العلوم والآداب والفنون ، ومازالت الشرقية منبع العلم والفن والأدب ، ومنتجع العلماء والأدباء من كل صوب وحدب ، فعلماؤها وأدباؤها ، وشعراؤها وخطباؤها من الكثرة بمكان ، شهرتهم طبقت الآفاق ، وكادت تخترق السبع الطباق، فى كل محفل يشار إليهم بالبنان ، ويقال: هؤلاء فاكهة الزمان ، ودرر الفصاحة والبيان . ولاعجب فهم

نجوم سماء كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وسل إن شئت " معهد الزقازيق الدينى " فكم لمعت فى سمائه درر ، وسطعت فى جبينه غرر ، وبزغت فى رحابه أقمار .

فى تلك البيئة ولد شاعرنا « صابر » ، وفى أحضانها حبا ، وبين رياضها نما ، وتحت ظلالها قام وقعد ، وعلى جداولها جلس واتكأ ، يتأمل سحرها ، ويناجى أسرارها ، ويناغى جمالها ، ويغازل أنسامها ، ويداعب عنادلها ، ويغرد مع بلابلها ، ويعزف أجمل الألحان على أغصان الشعر ، ودوح الأدب ، وأفنان البيان.

---

(١) وقد سبقه « الجاحظ » إلى بيان أثر البيئة فى الأخلاق والطباع ، أنظر "الحيوان" للجاحظ ، جـ٤ ص ٧١ ، ص ١٣٥ . وقد كان للقرآن الكريم فضل السبق فى بيان هذه الحقيقة .

(٢) آية رقم (٥٨) من سورة الأعراف .

وقد تأثر شاعرنا الحالم « صابر عبد الدايم » نبت الشرقية بتلك البيئة ، فأضفت عليه جمال الخلق ، واستقامة الخلق ، وسكينة النفس ، ورهافة الحس، وهدوء الطبع ، ورقة الشعور ، وبسطة الأفق ، ورجاحة العقل ، ورحابة الخيال . فلاعجب إذا مالرتبط شاعرنا بتلك البيئة التى انبتته ، فإذا به يعبر عن مشاعره بل مشاعرها ، ومعاناته بل معاناتها ، وآلامه بل آلامها ، وآماله بل آمالها ، وآهاته بل آهاتها ، وأناته بل أناتها ، ونبضات فؤاده ، بل نبضات فؤادها ، فشعره في مجمله صورة حية صادقة لبيئته وعالمه بكل مافيه من هموم وغيوم ، ومآس وأحزان ، ويأس وآمال ، وأوهام وأحلام .

ثانياً: ثقافته:

مما لاشك فيه أن للثقافة أثراً كبيراً فى تكوين الشاعر ، فهى تؤثر بقوة فى أفكاره واتجاهاته ، وأسلوبه وشخصيته وصوره الأدبية . وقد تنوعت ثقافة شاعرنا « صابر عبدالدايم » وتعددت روافدها ، وامتزجت مشاربها ، مما كان له أثره فى تعدد ميوله الفنية واتجاهاته الأدبية ، وقد انعكست آثارها على شعره فى وضوح وجلاء . ولن يجد القارئ لشعره مشقة فى تحديد ملامحها وبيان معالمها ، فهى تكاد تنادى على نفسها ، وتتمثل هذه الثقافة فى :

١- الثقافة الإسلامية

وأبرز ملامحها التأثر بالقرآن الكريم ، الذى حفظه الشاعر منذ نعومة أظفاره ، فهذب مشاعره ، ورقق حواشيه ، وغذى عقله ووجدانه ، وكان له أثره فى تفجير ينابيع شاعريته ، وتفتق براعم عبقريته ، فترنم به لسانه ، وانتشى به وجدانه ، وفاضت به قريحته ، وجاشت به عاطفته ، فتناثرت فى شعره درره، وتكاثرت جواهره ويواقيته ، وليس أدل على ذلك من قوله فى قصيدة «إشرافات من سفر التكوين والنبوءة »[1]

والنـــار تنـــادى "اخلـــع نعليـــك"[2]

---

(١) ديوان الحلم والسفر والتحول ص ١٤-١٥ وأنظر ديوان المسافر فى سنبلات الزمن ص ١٦.

(٢) من آية رقم ١٢ من سورة طه

إنك فى أقدس وادي

وافتح عينيــــــك

واشهـــــــــد فى أعماقــى خضرة أعــوادي

يتلاشى « موسى » فى الكل ويرحل فى عين الأشيـــاء

هذى يده السوداء

فى لحظة عشق خارج دائرة الزمن المحدود

صــــــارت من غيـــر أذى بيضـــــاء

وعصـــــاه العمــــــاء البكمـــــاء

تتلوى .. تتمـــــدد .. تبتلع غـــرور الطين ..

وفرعون بجذع النخلة يصلب كل الشرفـــاء !!!

قالـــــوا : « لن نؤثـــرك على ماجــــاء »[1]

وقوله فى قصيدة « إيقاع الزمن القادم »[2]

ورأيت نداوة صوتك فى بحة صوت الضعفاء

تاللـــه لقـــــد آثـــرك اللـه علينـا[3].

وقوله فى قصيدة « قافلة الغرباء »[4].

والشعــــراء تراهـــوا بنبال الحــرف العميـــاء

واقتتلـــوا فى ساحـــات الكلمـــات الجوفـــاء

« يلقـــون السمـــع وأكثرهم »[5]. مـــداح هجـــاء

وسفائنهم فى الزيف تجدف فالدينار هو الميــنـــاء

---

(١) من آية رقم ٧٢ من سورة طه .

(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ص ١٢.

(٣) من آية رقم ١٩ من سورة يوسف .

(٤) المسافر فى سنبلات الزمن ص ، ٢ ، وأنظر : المرايا وزهرة النار ص ٦٠-٧٠

(٥) من آية رقم ٢٢٣ من سورة الشعراء.

" مــــا يأتيهـــم من ذكـــر من ربهم "[1]. وضــــــاء

" إلا استعمـــوه وهـــم " والصخــــر ســــــــواء

وقوله فى قصيدة " أبا الزهراء "[2]

من الأحجار قد صنعوا إلها ∴ وهــــذا لايفيـــــد ولايضر

وران على عقولهـــم ظـــلام ∴ فعاشوا بينهم والحـــق ستر

لقد لبسوا ثياب الجهل حتى ∴ غدوا عميا وفى الآذان وقر

وقوله أيضا فى قصيدة « الفزع الأكبر »[3].

« والطـــــــــــور »

« وكتـــــاب مسطور »

« فى رق منشــــور »

« والبيت المعمـــور »

« والسقف المرفوع »

« والبحر المسجـــور »[4].

« والشعب المقهـــور »

« والقدس المشطـــور »

قد جاء الأمر " وفار التنور[5]

وقوله فى قصيدة : « من فتوحات الغربة »

« والليـــل ومـــا وسق »[6]

« والقمر إذا اتسق »[7]

« إننـــــى راكب طبقا عن طبق »[8]

« راحـــــل فى زمـــان القلق »

---

(1) من آية رقم ٢ من سورة الأنبياء.

(2) نبضات قلبين ، ص ٣٩.

(3) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٣٨.

(4) الآيات من أول سورة الطور.

(5) من آية رقم ٤٠ من سورة هود.

(6) آية رقم ١٧ من سورة الانشقاق.

(7) آية رقم ١٨ من سورة الانشقاق.

(8) من آية رقم ١٩ من سورة الإنشقاق

وهذه النماذج تدل مع غيرها على تأثر شاعرنا بالبيان القرآنى ، وهو تأثر نابع من وجدان مشرق بالإيمان ، ورؤية إسلامية للحياة فهو حين ينظر إلى شعراء زمانه ، الذين ترددوا فى حمأة النفاق والخداع والزيف يعلن عن رفضه لهذا المنحى اللاأخلاقى ، ويتكئ فى هذا الرفض على المدلول الدينى والبيان القرآنى الذى تشرق به الآيات الأخيرة من سورة الشعراء.

وفى تعبيره عن مأساة الأمة الإسلامية والعربية وأزمتها مع الصراع الصهيونى، وثورته على هذا المد الصهيونى، تتفجر ينابيع تجربته الشعرية من النبع القرآنى ، وتتشكل خيوطها من نسيجه، ويتمثل هذا واضحا فى قصيدة " الفزع الأكبر " التى اتكأت فى مطلعها على مطلع سورة « الطور » والقصيدة كلها مستوحاة من الأسلوب القرآنى ألفاظا وتراكيب وأفكارا ، وهى بهذه الصيغة الإسلامية تعلن من خلال تشكيلة الأسلوب أن مأساة المسلمين فى العالم بعامة ، وفى فلسطين بخاصة لن يبدد ليلها الطويل إلا بعودة الهوية الإسلامية ، واستعادة بريق الحضارى الإسلامى المتوارى خلف غيوم الحضارة المادية الحديثة(١).

وفى الترجمة عن مشاعر القلق والحيرة النفسية ، واليأس الذى غمر الشاعر ، والحنين إلى الماضى بأمجاده ، والصراع النفسى بين ماض ألق ، وحاضر قلق ، ومستقبل مشوب بالآمال والأحلام يتكئ الشاعر فى تجربته أيضا على النبع القرآنى كما هو واضح فى قوله :

والليل وما وسق(٢).

والقمر إذا اتسق(٣).

« إنى راكب طبقا عن طبق

راحل فى زمان القلق

---

(١) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، ص ٨٥ .

(٢) الآية رقم ١٧ من سورة الانشقاق.

(٣) الآية رقم ١٨ من سورة الانشقاق.

وهكذا سرت روح القرآن الكريم فى شعر الشاعر ، وتدفقت فى ألفاظه ومعانيه وصوره ، وهذا يدل على مدى تأثر الشاعر بينبوع القرآن الكريم الثر الذى فجر فيه كما بينا ينابيع الشاعرية ، وكان ومازال يعد رافدا أصيلا من روافده الثقافية، وعاملا رئيسا فى تشكيل مجاريه الشعرية .

وإلى جانب تأثره بالقرآن الكريم يأتى تأثره بالتراث الإسلامى ويتمثل فى استدعاء الشخصيات التاريخية الإسلامية ، وبعثها فى أعماله الشعرية ، والاستعانة بها « على توضيح رؤيته للحاضر ، ولذلك يجئ الاستدعاء طبيعياً محققا لما يراد منه من تأثير ، وتبدو الصلة بين التاريخ والحاضر وثيقة عند شاعرنا ، وقد أجاد الشاعر الربط بينهما مما ضاعف من تأثير شعره على قارئه»[1]. وأعطى له مذاقا خاصا . وتتمثل هذه الشخصيات فى "أسماء بنت أبى بكر ، وعبدالله بن الزبير ، والحجاج ، ومحمد بن القاسم الثقفى .. وغيرهم ، ولم يقف الشاعر عند أحداث التاريخ الإسلامى الكبرى وقوفا سلبيا ، ولم يسرد فى شعره تلك الأحداث سردا عاديا لمجرد السرد التاريخى فحسب ، ولكنه غاص فى أعماقها ، مستلهما معطياتها ومدلولاتها، جاعلا منها نماذجه العليا ، مازجا بينها وبين الحاضر مزجا فنيا مؤثرا ، ليعيد صياغة الواقع المر ، والحاضر الأليم من خلال بعث تلك النماذج الناصعة ، والشوامخ المشرقة .

لقد كان التاريخ كما يقول الشاعر « صابر» سفينة الفضاء الشعرى التى حملتنى إلى الآفاق الفنية التى حلمت بها ، فسمعت إيقاع الزمن القادم يأتى صداه من داخل جدران سجن "يوسف الصديق" فى مصر ، وأبصرت البطولة وهى تلقى حتفها فى سجن " واسط " بالعراق حيث كان محمد بن القاسم الثقفى يرسم على جدران ذلك السجن مشاهد من ملحمة العشق والبطولة ، ويصرخ فى وجه الطغاة:

إنى أنا النهر المسافر بالعطـــا ∴ «ولن يعوق الصخر عنف مسيرتى

---

(١) المرايا وزهرة النار ، تقديم الديوان للدكتور / عبد الحكيم حسان ، ص ١٢٨ بتصرف.

وصاحبت أسماء بنت أبى بكر فى رحلتها مع الثورة والعطاء والتحدى ، وأعدت تشكيل ماجرى بينها وبين ابنها عبدالله من حوار فى صورة واقعية عصرية وهى الفتاة والزوجة والأم .. فى لحظة واحدة تثور وتعطى وتتحدي[1].

ففى قصيدته « أسماء : الثورة والعطاء» يجسد الشاعر البطولة الإسلامية فى أسمى صورها ، لتكون نبراسا يهتدى به فى زمن اختفت فيه البطولة ، وماتت فيه الفتوة الإسلامية ، وفترت فيه النخوة العربية ، وشنق فيه الفداء والنضال . فيقول :

وبعينيها السمـــراويز صمـــود - رفـض - حـب وفـداء[2]

والقلب الثائـر ومض يرصـد مأسـاة جنـون الأعـداء

ويطيـــر إلى يثـرب بالحلـم الأخضـر والزمـن المعطـاء

ويسير إليها ... ويرذ قلب الزمن المواز بأحلام الفقـراء

فى ثور .. يغلى بركان الثـورة

من ثور... تتفجر أنهار الثوره

وعلى ثور ... يلقى الأفق بنار الحق لتحـرق أعداء الثـــوره

وإلى ثور ... تركض خيل الحب لتسحق من هب لإطفاء الثوره

فأسماء : رمز للثورة " على الشعارات والزيف ، والعجز النضالى[3] وهى كما يقول الشاعر:

ياعبد الله .. لاحاكـــــــم إلا اللـــــــــــه[4].

لاتعــــطالســــــارقبستانـــــك

لاتترك فى وجه الإعصـــار الأهـــوج أغصانك

صغ من أوتار هداك رماحا تفنى من يخنق ألحانك

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٨م.

(٢) ديوان الحلم والسفر والتحول ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) جريدة الرأى العام بالكويت.

(٤) ديوان الحلم والسفر والتحول ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

واجعـــــل مـــن نبـض يقينـــك صاعقـة
تنقـض على مـــــن يغتـــال اللحظـــة إيمانـك

ياعبد الله :

السيف فى يـــدك الأقـــدار تحميـــه
ومـــن دم الغاصب الجانـــى ستسقيـه
لايـوقف الريـــح إلا قمـــــة شمخت
وكـل عـــاد بقـــاع السفـح ترديـه
وليس ينقصها أن تبقـــى عاريــــة
فالزهـــر فى عمقهـــا نصـــر تغنيـه
والشاة ماضرها سلـخ وقـــد ذبحت
فاحمل على السيف مجدا أنت تحميـه
مادمـــت تسعـــى لحـق أنت غارسـه
مهما يطل غصبه حتمـــا ستجنيـــه

فاستدعاء «أسماء» فى تجربة الشاعر "يعد سفرا إلى زمن أسماء ، والعودة بمعطيات الشخصية وأبعادها إلى زمننا أملا فى العثور على هذا النموذج الأعلى للمرأة المسلمة فى عصرنا الحديث"[1]. "....." والسفر إلى الماضى لبعث الحاضر لاينحصر داخل حدود الأحداث التاريخية ذات الإيقاع الحماسى مثل المعارك وغيرها ، بل يتجاوز هذه الأحداث إلى التغلغل فى صميم الحياة الإسلامية الناطقة بالوجه الحضارى للإسلام[2]. وهذا التجاوز لايتم على الصورة المثلى إلا إذا اختلط الموروث التاريخى بلحم الشاعر ودمه ، وامتزج بمشاعره وعواطفه ، واستقر فى أعماقه ووجدانه ، عند ذلك ينساب فى شعره انسياب الماء ، ويسرى فى تجاربه سريان الهواء، ويوفر ربطا مباشرا مع حقب تاريخية ، ويعطى شعوراً بالتقدم المستمر من

---

(١) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، د/ صابر عبدالدايم ، ص ١٠٣.
(٢) المرجع السابق ، ص ٨.

الماضى إلى الحاضر إلى المستقبل ، ومن شأن هذا التقدم أن يوحد التجربة، ويدلك على إمكانية حصول نفس التجربة ثانية[1].

ولذلك رأينا شاعرنا يضع أمام (حواء) العصر الحديث أكثر من نموذج "لحواء" فى التاريخ الإسلامى ، فإلى جانب "أسماء" النموذج الأعلى فى البطولة والتضحية والفداء والوفاء ، نجد نموذجاً آخر أعلى للطهر والفضيلة وجمال الخلق مجسداً فى "خديجة" رضوان الله عليها – فنراه فى قصيدته "حواء" التى يقول فى مطلعها :[2].

حواء صونى حسنك الموهوبا ∴ ودعى الجمال الزائف المكذوبا
حواء عودى للعفاف فقد غدا ∴ فيك الجمال مزيفا .. مكذوبا

يعلن عن رفضه للواقع المتردى للمرأة المسلمة التى خلعت فيه برقع الحياء، وكشفت فيه عن مفاتنها رغبة منها فى إظهار حسنها وجمالها ، وتقليدا للغرب، فيقول:

أظننت أن الحسن كشف مفاتن ∴ يغرى نفوسا سحرها وقلوبا
وتمايل الأرداف تحت خميلة ∴ قد زانها خد تضوع طيبا
حتى غدوت مع السفور كدمية ∴ وظننت أن الكشف ليس معيبا
لا .. لا فإن الحسن حسن شمائل ∴ وتعفف عما يكون مريبا
الغرب قد قلدته أفعاله ∴ حتى غدا فيك الحياء غريبا
ووراء كل مبادئ غربية ∴ خلنا عليك تلهفا ووثوبا
ورميت كل فضيلة شرقية ∴ ولويت عنقك للهدى تكذيبا
وأينت للشرق الشريف عداوة ∴ والغرب فى عينيك عاد حبيبا
فكأن هذا الغرب صار إمامنا ∴ والكل عند الأمر صار مجيبا

---

(١) مجلة عالم الفكر ، أكتوبر ١٩٨٨م ، ص ٦٩١.

(٢) ديوان نبضات قلبين ، ص ٦٨.

ثم يضع الشاعر أمامها النموذج الأعلى للمرأة المسلمة فيقول:

بكت الفضيلة من فعال نسائنـــا ∴ حتى ظننا الفضل عاد غريبـا[1]
حواء قد عدت السقيمة فاقصدى ∴ مهدى الهداية إن أردت طبيبـــا
هذى "خديجة" ماثيابا قصـــرت ∴ كلا ولافمها رأى تخضيـــــا
مازانها فرع طويل فاحــــــم ∴ بل زانها خلق تضوع طيبـــــا
ملكت على خير البرية قلبـــــه ∴ بوفائها السامى فدام حبيبـــا
هذا جمال الروح بأختـــاه قد ∴ رزق الخلود ولم يكن مكذوبـــا

ولشاعرنا د/ صابر قدرة عجيبة على توظيف الشخصيات الإسلامية ، والإفادة من معطياتها التاريخية فى تكثيف فنى رائع ينم عن رؤية واعية لتاريخنا الإسلامى وإدراك تام لقيمته ، وما يمكن أن يضيفه إلى الواقع.

وهو حين يستدعى تلك الشخصية يجاوز بها زمنها إلى الزمن الحاضر ، ويتكئ عليها فى تجربته ، فتصبح الشخصية التراثية بؤرة القصيدة التى تدورحولها القصيدة بأفكارها وصورها وألفاظها ومعانيها ، فتتوحد فى تجربة الشاعر اللحظة التاريخية ويتحقق التواصل النفسى بين الماضى والحاضر من خلال رؤية إسلامية ترنو إلى حاضر يشرق بالإسلام ، ويشع بنور الإيمان ، وتبزغ فيه أمثال هذه الشخصيات.

فشخصية القائد " محمد بن القاسم الثقفى " كما تصورها قصيدة "مشاهد من ملحمة العشق والبطولة " تعبر عن " الواقع المسافر إلى الماضى للعودة بالصورة المثلى للقائد المسلم ، والإعلان عن حضورها فى حركة الواقع[2]. وتجسد البطولة فى أسمى معانيها:

السجن أفقى والسلاسل سدتـــى[3] ∴ والحب فى زمان الضياع هويتـــى
قد أينعت رأسى وحان قطافهـــا ∴ لكنهم لايقطفـــــون إرادتــــى
الطائرون:الريح ضـــد هواهـــــم ∴ والقابعـــون على ضفــاف الجنــة
إنى أنا النهر المسافر بالعطـــا ∴ ولن يعوق الصخـر عنف مسيرتـى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠. (٢) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، ص ١٠٤.
(٣) ديوان المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٣٧.

كما أن شخصية " الحجاج" بدلالاتها التاريخية تعد هجوما على الواقع السياسى وبغضا وتأكيدا لرفض التعسف الواقع فى المجتمع ، وثورة على الظلم والقهر وإدانة للاستبداد والبطش ، ودعوة للمقاومة والثأر.

من ثدى السيف تغذيت[1]

وعلـــى صدر أمية غنيت

وبقلب الحجـــاج دخلـــت

ونزعت النقط الســـود السارقــة الأضـــواء وسافـــرت

فى شريانى كلمات المصحف تهدر نهـــرا من نـــار وضياء

واللـــه .. محمـــد ساريتـــان بأعلـــى عليـــــن

فى ظلهما رحت أقاوم عسف الزمن المتموج فى سنوات العمر

أستنبت من صخـــر الحلم زهـــور الآتـــى المخضر

فى ظلهما احترق السيف - الطغيان ، وجف الرمح - الكفـــر

وبرغم السيف الغائر فى عنقى لم أسقط وعبـــرت النهـــر

وإلى جانب تلك الشخصيات التاريخية التى أثرت فى وجدان الشاعر وتجاربه استلهم شاعرنا "صابر عبدالدايم" القصص القرآنى بشخصياته وأحداثه ومواقفه وأبعاده وإشاراته ودلالاته ليجسد أمامنا النموذج الأعلى الذى يشع فى آفاق الواقع وسماواته الملبدة بالهموم والغيوم والقيود ، حتى تنجاب سحابات الظلم ، وتتبدد أعاصير الحيرة والقلق واليأس والقنوط.

وهو حين يستلهم القصص القرآنى "لايقف عند مجرد الرصد بل يتجاوز ذلك إلى جعل القصة نموذجا ماثلا فينا تلتحم به همومنا ، وتفزع إليه أشواقنا وقصة سليمان ويوسف وموسى ونوح أضاءت كثيرا من تجاربى الشعرية"[2].

---

(١) ديوان المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٣٢.

(٢) جريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٨م ، من حوار أجراه الأستاذ/ على عبدالفتاح مندوب الجريدة مع الشاعر

وهكذا يضئ الموروث الإسلامى المتمثل فى المعجم القرآنى بألفاظه ومعانيه وصوره ، والقصص القرآنى بإيحاءاته وإشاراته ، واستدعاء الشخصيات التاريخية الإسلامية بما لها وماعليها - زوايا تجارب شاعرنا «صابر» ويعد لبنة سامقة ورئيسة فى صرحه الشعرى ، ورافدا أصيلا من روافده الثقافية ، وقيثارة عزف شاعرنا عليها أجمل اللحن وأعذب النغم ليردنا بذلك إلى «أصالتنا.. إلى فتوحاتنا الكبرى ، إلى قوة الروح والنفس والنضال العربى ، إلى أبطال التاريخ وشهدائه ، إلى حياة الروح ونور العقيدة وضياء الحق ، والجمال والخير والذات الثائرة ، والخروج من حياة الخواء والفتور والألم والوهم والضلال»[1]. والزيف والخداع والرياء إلى حياة القوة والحرية والأمل والحب والعطاء .

٢- الثقافة العربية

لقد كان للثقافة العربية الأصيلة الضاربة بجذورها فى أعماق تراثنا العربى والتى غذى بها شاعرنا - منذ نعومة أظفاره - فى أروقة الأزهر الشريف أثر كبير فى تفتق شاعريته ، وصقل موهبته ، ونمو ملكته ، وارتقاء لغته، وسلامة أسلوبه وصحة عبارته ، فقد مكنته دراسته فى رحاب الأزهر من إتقان العلوم اللسانية ، والأوزان العروضية ، والاطلاع على الآداب العربية فى أمهات الكتب والدواوين الشعرية ، وحفظ الكثير من شعرها ونثرها، فاستقام بذلك لسانه ، ونصع بيانه ، وسلمت أوزانه ، وحسنت صياغته ، وأشرقت ديباجته ، فاستحق أن يكون « شاعر المعهد الأزهرى وخطيبه الذى لايبارى .. ومن بعد شاعر الجامعة الواعد»[2]. الصاعد فى سماء الشعر وآفاق البيان.

وديوان شاعرنا " صابر" نبضات قلبين ، الذى صدر فى عام ١٩٦٩م والذى جمع شعر الشاعر وهو فى باكورة شبابه خير شاهد على صدق ماقلناه فهو فى هذا الديوان شاعر عمودى يمتاز بقوة الألفاظ ورصانتها

---

(١) جريدة الرأى العام بالكويت ، مقال للأستاذ / علي عبد الفتاح

(٢) جريدة الندوة السعودية ١٩٨٧م من مقال للدكتور/ أحمد زلط..

ومتانتها ، ورقتها ورشاقتها تبعا لمعارض الكلام ، وخلوها من الألفاظ الحوشية ، والضعف والركاكة والإسفاف والغرابة والتكلف، فضلا عن شرف المعنى وصحته ، وبراعة الخيال وقوته . وهذا يدل على أن التراث الشعرى العربى كان الينبوع الثر الذى نهل من معينه الشاعر "صابر" وعب من عيونه، وارتشف من رحيقه ، فتداعت إليه الألفاظ والأساليب والأنغام والصور بتداعى خواطره ومعانيه ، فلم يجد مشقة فى اختيار اللفظ، ولم يجهد ذهنه فى انتقاء الصورة ، وبالتالى سلم شعره من اضطراب الألفاظ، وتنافر الحروف ، وغموض المعنى، وسقم الخيال ، واستطاع بذكائه الملهم ، وشاعريته الدافقة أن يستخلص أحسن مافى التراث من لفظ ، وأجمل مافيه من معنى ، وأن يطوع ألفاظه وأساليبه للتعبير عن قضايا مجتمعه ووطنه وأمته ، ومشاعره وإحساساته وتجاربه فى الحياة.

ولعل هذه الميزات هى التى اتاحت لشعره فرص النشر فى الصحف والمجلات، والإذاعة المصرية ، والفوز بالجوائز الأولى على مستوى المعهد الدينى الثانوى والجامعة الأزهرية، والمحافل الشعرية فى عالمنا العربى، وللقارئ أن يطالع قصيدته "صوت العروبة" والتى يقول فى مطلعها:(١).

اجمعوا الشمل وهبوا للظفـــــر ∴ وازرعوا الزيتون فى قلب البشـر
وانثروا النور على وجـــه الدجى ∴ واغرسوا الورد بساحات القــدر

وقصيدته "يوم الثأر" ومطلعها:(٢).

شباب العرب هيا واستعـدوا ∴ ليوم ليس من عمـــرى يعـد
ليوم الثأر من فئة تمـــادت ∴ وأعمى قلبها صلف وحقـــد
تعاموا عن ضياء الحق حتى ∴ أظلهـم ضــــلال لايحــد
شرازمـــة أتـوا مــن كل فج ∴ كجرذان الخرائب حين تعـدو

(١) نبضات قلبين ، ص ١٤ ، والقصيدة فازت بالجائزة الأولى من معهد الزقازيق الدينى عام ١٩٦٧م، والجائزة الثانية على مستوى شعراء الأزهر والبعوث الإسلامية ، وحازت على كأس الأدب من شباب الأزهر ، ونشرت بمجلة صوت الشرقية .

(٢) نبضات قلبين ، ص ١٨ والقصيدة أذيع بعضها فى الإذاعة المصرية بمجلة الهواء بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٠.

فهـــذى دولة خلقت لتفنى ∴ كما يفنى أمام الليث قـرد
وإن ظنت بنصرتهـا دواما ∴ فما برق يدوم إذن ورعـــد
سنلبس من دمائهم ثيابـا ∴ ويكسو قلبنا عزم مقـــد

وقصيدته " العرس والدموع" وفيها يقول:[1].

لسانى معقود وفكرى مبعثـــر ∴ وقلبى بالشكوى يئن ويزفـــر
وروحى بآفاق الأسى قد تطايرت ∴ كأشلاء آمال على النفس تخطـر
وذاب كيانى فى جحيم تألـــى ∴ فماعدت إلا بالنوائب أشعـــر
فكف المنايا قد أطاحت بمهجتى ∴ وموطن آمالى الذى منه أغمـــر
يقولون لى صبرا وإنى صابـــر ∴ وكيـــف علـى غدر المنية أصبر

وقصيدته "الأزهر والطوفان" وفيها يقول:[2].

علم الكنانة فى وجودك يخـــفق ∴ ورؤى الخلود على جبينك تشـرق
وجلالك الوضاء فى آفاقنـــا ∴ عبر العصور على المدى يتألـق
ياأزهر الدنيا بنورك أزهـــرت ∴ مهج الليالى والبوادى تـــورق
من ألف عام فيض ذاتك مائـــج ∴ وبكل عصـــر ضوؤكم يتدفـــق
ماأنت مئذنة وصـــرح شامـــخ ∴ بل أنت هدى فى القلوب معلـــق
أنت إنطلاق الـــروح من أغلالها ∴ أنت الأمـان بكـل نفس يبـــرق

فالألفاظ "مختارة" ، سهلة ، شاعرة ، تنساب فى عذوبة ورقة وتتدفق من معين شعره المطبوع[3].والمعانى قريبة المأتى ، واضحة القصد ، سهلة التناول، والصور بلغت مابلغت من الوضوح كأنها تغدو أمامنا وتروح .

وتمتد ثقافة شاعرنا "صابر" العربية الأصيلة لتشمل الإطلاع الواسع على الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة ، والتى تركت آثارها فى وجدانـه

---

(١) ديوان المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٨٧.
(٢) ديوان المرايا وزهرة النار ، ص ٧٥.
(٣) جريدة الندوة السعودية ، ١٩٨٧م مقال د/ أحمد زلط.

وتجاربه وشعره ، وفى مقدمة هذه الدراسات دراسته لأدب المهجر ، وأدب المهجر كما يقول شاعرنا : "أسمى نموذج لأدب الغربة ، فالنائى عن الوطن، النازح الدار ، البعيد المزار يحمل على كاهله هموما أثقل على نفسه من الجبال . إنه متعلق بكل ذرة ضوء فى وطنه ، ومن هذه النافذة يخرج ضوء الإبداع ، وتنطلق شرارة الفن ، فإذا بأصداء الحنين موجات موسيقية تهز الرواسى ، وإذا بهذه الموسيقى تصبح - حين تقام الحواجز بين الإنسان وبين وطنه - رعدا يزلزل كيان المعوقين ، وانفجارا يلتهم الأخضر واليابس . فأدب الغربة حنين فضجيج فرعد فانفجار"[1].

وقد ظهر أثر تأثر شاعرنا بأدب المهجر فى كثيرمن قصائده ، ووضح من خلال عناوين بعضها ، ومفردات ألفاظها ، وبعض صورها وإيقاعها ومن ذلك قصيدته "الشاعر والمساء" وفيها يقول:[2].

سكن الوجود سكون حزن إذكـواه لظى الأرق
فكأن سهم الصمت فى قلب الوجود لقد مـرق
وأرى السماء تضرمت بلهيب أصباغ الشفـق
وأتى المساء وقد تردى الكون فى كفن الغسق
فكأن ثم جنـازة والكـون هـذا قد نفـق
وإلى دروب العدم سائـر
واليأس عربد بالمصائـر

وقصيدته " الصباح : والتى يقول فى مطلعها :[3].

جاء الصباح ووجهـه أخفتـه أقنعة الضبـاب
والشمس تحت ستائر السحب الحوامل فى احتجاب
والأفق ملتثم بغيم فوقـه مثـل النقاب
والنور عن صرح الوجود رأيته ولى وغاب
أضواءه لاتسطـع
وشعاعـه لايلمـع

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨.
(٢) نبضات قلبين ، ص ٧٢.
(٣) نبضات قلبين ، ص ٩٢.

فمعظم الألفاظ التى وردت فى هذين المقطعين – فضلا عن بقية مقاطع القصيدتين جاءت منحوتة من الطبيعة التى امتزج بها الشاعر، وأبرز من خلالها مشاعره وتأملاته، فالوجود – الكون – السماء – الشفق – المساء – الغسق – الصباح – الضباب – الشمس – السحب – الأفق – الغيم – النور – الأضواء – الشعاع – ... إلى آخر ألفاظ القصيدتين تمثل جزءاً لايتجزأ من فكرة القصيدتين ، وقد أضفى الشاعر عليها الحياة كما فعل أدباء المهجر – فإذا بها تسكن وتتحرك ، وتجئ وتدبر ، وتموت وتكفن ، وهو بهذا إنما يصف مشاعره وخلجات نفسه من خلال تشخيص مظاهر الطبيعة فهو يخلع على الطبيعة الكآبة والحزن والقسوة والضياع والتشاؤم البالغ حد اليأس وكلها أوصاف لنفسه ومشاعره الثورية المكبوتة ، التى أحست بذل الهزيمة ومرارة الانكسار ، وقسوة الاحتلال ، وبشاعة العار الذى جثم على صدر الوطن ، وخيم فى سماء الأمة عقب هزيمة ١٩٦٧م.

كما يبدو أثر التأثر واضحا فى قصيدته " لست أدرى" فقد سار فيها على نهج "الطلاسم" لإيليا أبى ماضى ، وإن خالفه فى مضمونها ، فنراه يقول فى مطلعها:(١).

لست أدرى سر مايجتاحنى وقت اللقاء
عندما تسعين نحوى كالأمانى فى صفاء
فأرى الكون جميعا باسما ثغرك ضاء
وأرى الكل سعيدا لفه ثوب الرضاء
فلماذا كل هذا .. ؟ ياحبيبى .. ؟ لست أدري

ولعل إعجاب شاعرنا بشعر المهجر وهو فى باكورة شاعريته وتأثره به – هو الذى دفعه بعد ذلك إلى دراسة أدب المهجر فى رسالته التى تقدم بها لنيل درجة "العالمية – الدكتوراه" وقد برز أثر هذه الدراسة واضحا فى بعض تجاربه الشعرية ، وليس أدل على ذلك من قصيدته "هروب" والتى يقول فيها:(٢).

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٤٨.

(٢) الحلم والسفر والتحول ، ص ٨٩-٩٠.

وقفت والنفس فى هـــــروب ∴ والشمس فى محنـــــة الغروب
أسائل الضـــــوء أين غابت ∴ عنى شمـــــوع الهوى الطروب؟
وأســـائل الليـــل كيـف تاهت ∴ خطـــاى فى عتمة الـــــدروب؟
وكيف صار الفـــــؤاد روضا ∴ بغير زهـــــر وغيـــــر طيب؟
ثمـــاره فـــى الربيـــع جفت ∴ كأنهـــــا مهجـــــة العـــذيب
وفى عروقى نـــــداء شوقـــــى ∴ لكـــــن ندائـــــى بـــلا مجيب
فكـل مـا كـان لـى تولـــــى ∴ سوى دموعـــــى على نصيبـي
فأين ماشـــــاده خيالـــــى ∴ فى قلب وادى المنى الجـــديب
فكلهـــــا كلهـــــا تهـــــاوت ∴ وبعثـــــرت فى دجـــى المغيب
كالشمس لما أختفى ضياهـــــا ∴ سالت دماهـــــا على السهـــوب
ونحن .. ما نحن ..؟ غير طيف ∴ يلـــــوح فى غفـــــوة الهروب
وكـــــل شـــئ كمثـــــل نفسى ∴ كالشمس فى محنـة الغـــــروب

فالقصيدة " تصف الكون لحظة الغروب ، وهى تنطلق من إحساس بالفناء ، فالغروب فناء للضوء ، وفناء للشمس ، وهو موقف رومانسى يتفق مع رؤية « ناجى » الهروبية فى قصيدته " خواطر الغروب، ويقترب من رؤية "أبى ماضى" التأملية فى قصيدته "المساء" ، ويمتزج برؤية "مطران" النفسية للوحة المساء"(1).

وهكذا يمثل أدب المهجر كما يقول شاعرنا « صابر » مرحلة وجدانية وفكرية شكلت رؤيتى الإبداعية والنقدية ، حيث خاض شعراؤه تجارب جديدة، وطعموا هذه التجارب بلقاح جديد ، ونأى كثير منهم عن أغراض الشعر التقليدية ، وابتعدوا عن الرصد المباشر للتجربة ، وهم بذلك جعلوا القصيدة ذات أبعاد متعددة تنبع من شوق الإنسان إلى استشراف عالم جديد، يكون الانتصار فيه للروح ، وتتخلص النفس من أثقالها المادية ، ورغائبها الحسية، وهذه الميزات الفنية لأدب المهجر هى التى دفعتنى للبحث فى نزعتهم التأملية

---

(1) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، ص ١١٢-١١٣ بتصرف يسير.

شعرا ونثرا ، وقد ترك هذا البحث النقدى بصماته الفنية فى نتاجى الشعري، ولكن ليس بصورة مباشرة ، فلست مقلدا لهم فى شئ ، وإنما هو التأثر بالمعجم الشعري، وأحيانا بلون المشاعر وشكل الإيقاع[1].

ولست مع الشاعر فى قوله : لست مقلدا لهم فى شئ ، فما قدمناه من شواهد يدل على خلاف قوله ، ولايضير الشاعر أن يقلد وبخاصة فى المرحلة الشعرية الأولى ، فما من شاعر إلا ويبدأ مقلدا ، ثم أسلمه التقليد إلى التجديد.

٣- *الندوات الأدبية:*

تعد الندوات الأدبية التى عنى بها شاعرنا رافدا من روافده الثقافية، فقد شارك شاعرنا فى كثير منها، والتقى من خلالها بكثير من رفاق الشعر ورواده، وكانت هذه الندوات مائدة أدبية حافلة بالتندر والفكاهة والنقد للآثار الأدبية، ومناقشة الآراء وتبادل الأفكار، وقد حرص شاعرنا على الإسهام فيها مهما كلفه ذلك من مشاق السفر . كما أسهم فى كثير من المجلات الأدبية التى كانت تصدر عن الجمعيات الأدبية ، فقد كان عضوا بجمعية الرواد الأدبية بدمياط ، وكانت تصدر نشرة أدبية تحت اسم "الرواد" ، كما حمل مع رفيقيه الشاعر حسين على محمد ، والشاعر محمد سعد بيومى ، شعلة الإبداع الأدبى بالشرقية وقد لحق بهم الشعراء: محمود عبدالحفيظ ، وعبدالسلام سلام ، وسامى ناصف ، وطارت الشعلة إلى "طنطا" فانضم إليها قطب الدائرة الشاعر عبدالله شرف، وواصلت طريقها إلى الاسكندرية وأسيوط وبورسعيد والسويس ، فإذا بالشعراء يرقصون فى الوهج ، ويغزلون من النار تجاربهم وهم راحلون عبر السنوات الضوئية[2].

وإلى جانب هذا فقد أسهم شاعرنا مع هؤلاء الشعراء وغيرهم فى مجلة "أصوات" التى جمعت على صفحاتها شعراء العربية من مصر وسورية ، والعراق

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨.

(٢) أنظر جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨ ، بتصرف.

وتونس والمغرب والكويت ، والقصاصين والنقاد على اختلاف مشاربهم وتباين أفكارهم وأذواقهم فهى أشبه بمجلة "أبولو" التى فتحت نوافذها لكافة الشعراء ، وأفسحت لهم مجالات الإبداع .

وقد حملت مجلة " القافلة" مع « أصوات» لواء الإبداع الأدبى وكان لشاعرنا على صفحاتها إسهام لاينكر .

ولو ذهبنا نتتبع المنتديات الأدبية بإصداراتها المتنوعة ، والمهرجانات الشعرية التى ارتادها شاعرنا وتابعها عن قرب، وحرص على الإسهام فيها، منذ باكورة شاعريته لأعيانا ذلك ، وقد كان لهذا كله أثره فى ثقافة الشاعر، واتساع معارفه ، وصقل موهبته ، ونضج شاعريته.

ولانستطيع أن نغفل بجانب هذه الروافد نبوغ شاعرنا المبكر، واستعداده الفطري، وأصالة موهبته ، ونقاء طبعه ، وسرعة بديهته ، وصفاء قريحته ، وتدفق ملكته ، فقد ساعده ذلك فى استيعاب الكثير من العلوم والفنون ، وكان له أثره فى تكوينه الثقافى ، هذا فضلا عن اشتغاله بتدريس الأدب العربى ونقده ، وإلمامه الواسع بالتيارات الأدبية والثقافية السائدة فى بيئته ، والذى مكنه من التعرف على مشكلات الشعر العربى وقضاياه فى القديم والحديث ، وترك آثاره وبصماته واضحة فى نتاجه الشعري، وأتاح له فرصة الوقوف على مفهوم الشعر، ووظيفة الشاعر فى الحياة.

الفصل الأول

الاتجاهات الموضوعية فى شعره
ومنابع التجربة فيها

مصادر شعره:

يقع شعر شاعرنا «صابر» حتى كتابة هذا البحث فى سبعة دواوين شعرية ، منها أربعة مطبوعة واثنان « تحت الطبع » ومسرحية شعرية « تحت الطبع » بعنوان « جهاد ونصر » أو " النبوءة" .

١ ديوان « نبضات قلبين »
٢- ديوان « المسافر فى سنبلات الزمن »
٣- ديوان « الحلم والسفر والتحول ».
٤- ديوان « المرايا وزهرة النار »
٥- مدائن الفجر « تحت الطبع »
٦- ديوان اللحن الخالد « تحت الطبع»
٧- ديوان : العاشق والنهر:« قيد الطبع»

وقد طبع ديوانه الأول « نبضات قلبين » فى عام ١٩٦٩ بالاشتراك مع الشاعر « عبدالعزيز محمد عبد الدايم » ، ويقع الديوان فى ست وتسعين صحيفة تحتوى على أربع وخمسين قصيدة ، لشاعرنا فيها « سبع وعشرن قصيدة» وجزء من مسرحية شعرية تحت عنوان « جهاد ونصر » يقع فى ستة أبيات.

ويمثل هذا الديوان كما يقول شاعرنا : « أرتعاشة الفن الأولى فى عالم الإبداع ، وعلى الرغم من تقليديته رؤية وأداء فإننى أراه لوحة شعورية أطالع فيها لون عمرى وأنا لم أبلغ العشرين بعد[1]. وتدور قصائده فى فلك الحب، « والحب تتسع دائرته لتجمع فى رحابها حبنا لله فكانت ألحاننا الصوفية ، وتجمع حبنا لوطننا والأماكن المقدسة فكانت زفراتنا ونفثاتنا محفوفة بالأمل

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨م.

ونحن نقف على أعتاب فلسطين ، نناجى ربوع الآباء ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تجد فى مركز دائرة الحب آهات الملتاع وآلام الجوى حيث نعزف سويا لحن الهوى على قيثارة الشوق فى معبد الجمال[١].... وهناك الحب الدائر فى فلك الذات والمأساة حيث الشعور بفداحة فقد الأحباب[٢]....... فعزفنا لحن الأسى على قيثارة الأحزان .. ثم أغلقت الدائرة على نشوة الذكريات وجلال الشخصيات[٣].

وقد صدر هذا الديوان بإهداء من الشاعر إلى والده ، وأساتذته ، وأخته والإهداء ينطق بالوفا الذى اتصف به شاعرنا منذ حداثته ، وبعد الإهداء نجد تقريظا للديوان من الشاعر " على الجندى " وفيه يقول:

أسحر بابــــل هـــــــذا ∴ بالله أم خمـــر بابـل[٤].

أتيتما فى القوافــــــى ∴ سبقا أمــــام الأوائــل

وبعد التقريظ جاء تصدير للديوان بقلم الشاعرين صاحبى الديوان فيه عرض لمواده ، وقد بينا فيه دعائم الشعر وذلك فى قولهما : « ماهذه النبضات ؟ إنها إحساسات صادقة شعرنا بها ، والشاعر لايقول إلا إذا شعر – تراقصت فى الخاطر ، ودارت فى القلب فوثبت إلى الفم ، ومنه إلى الوجود ضاحكة بميلادها، وإن كانت متحدة فى إطارها العام كصورة شعرية .. يقيدها الوزن والقافية ويقصد بها الجمال الفنى ، وهذه دعائم الشعر الثلاثة: وزن وقافية وجودة فنية – إلا أنها كباقة الزهر ، تبوح بالعبير ...[٥].

وقد كتب مقدمة الديوان الشاعر « عز الدين المناصرة» وفيها أثنى على شاعرنا « صابر » حيث وصفه فى قوله :"فى العاشر من فبراير ١٩٦٩م دعانى اتحاد طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لمهرجانه السنوى للشعر

---

(١) ديوان نبضات قلبين ، ص ٥ ، ٦ بتصرف يسير.
(٢) جريدة الأنباء الكويتية ، /١٩٨م.
(٣) ديوان نبضات قلبين ، ص ٦.
(٤) ديوان نبضات قلبين ، ص ٤.
(٥) ديوان نبضات قلبين ، ص ٥.

حيث ألقيت قصيدة "أضاعوني" التى لاقت تقديرا لم أكن أطمع به ، وأوشك المهرجان على الانتهاء فإذا بشاب يهرع إلى منبر الإلقاء ودون تقديم راح يلقى قصيدته "ازرعوا الزيتون فى قلب البشر" ... لقد أوشك الجمهور أن ينام لولا هذا الفارس الذى جذب الجمهور إليه كأنه جبل المغناطيس[1]

ثم أثنى على شعراء الأزهر ، ومن بعدهم الشاعر " عبدالعزيز عبدالدايم" صاحب شاعرنا فى هذا الديوان ، ثم تحدث عن "الحب" عند الشاعرين على أنه محور التجربة فى ديوانهما وبين أنه "حب شامل ، ليس حب المرأة فقط كما تعودنا ، إنه حب مصر وفلسطين ، وحب الله وحب الكون[2].

وفى نهاية مقدمته أبدى رأيه فى شاعرنا "صابر" وذلك فى قوله " فالشاعر صابر يونس يستمد تجاربه وأدواته الفنية من منبع رومانسى ، فهو يميل إلى تقليد إيليا أبو ماضى وشعراء المهجر وأبولو ومحمود حسن إسماعيل[3].

وبعد مقدمة الديوان نجد تقريظا شعريا للشاعر "حامد يوسف البهلول" والشاعر " محمد رفيق " [4].

ويتسم شاعرنا فى هذا الديوان بالصدق الفنى ، ووحدة الشعور ، وعمق الإيقاع والتلقائية الواضحة ، والإنسيابية العذبة فى الألفاظ والمعانى والأوزان والصور والتراكيب الشعرية .

والديوان الثانى " المسافر فى سنبلات الزمن " طبع فى عام ١٩٨٣م بمطبعة الأمانة بالقاهرة – ويقع فى عشر صفحات ومائة من القطع الصغير،

---

(١) ديوان نبضات قلبين ، ص ٦.
(٢) ديوان نبضات قلبين ، ص ٨.
(٣) ديوان نبضات قلبين ، ص ١٠.
(٤) ديوان نبضات قلبين ص ١١ ، ١٢.

ويضم بين دفتيه قصائد الشاعر التى نظمت فيما يزيد عن عشر سنوات من عام ١٩٧٠م إلى عام ١٩٨٢، منها مانظم فى "ليبيا" حيث كان الشاعر يعمل بها وفيها مانظم فى "الزقازيق" ويحتوى الديوان على عشرين قصيدة ، وعرض فنى للديوان بقلم الشاعر "حسين على محمد" وصدر باهداء وتعريف بالشاعر من نظمه يقول فيه :

اسمـــى : صابر:
عمـــرى : سنوات الصبار جهلت بدايتها أو حتى كيف تسافر
بلـــدي: مصر – القرية – والموال الساخر
والمهنـــة: شاعر
وهواياتى : فـــك الأحجبة وهـــدم الأســـوار
والبحث عن الخصب المتوارى خلف الأمطار
والتنقيب بصحـــراء النفس عن الآبـــار
وقـــراءة ماخلـــف الأعين من أســـرار

وقد عنون الشاعر ديوانه باسم القصيدة الأولى منه ، وذلك من إطلاق اسم الجزء على الكل ، فهو عنوان مجازى ، فضلا عن أنه يحمل صورة فنية موحية حيث جعل من السنبلات – على مافيها من ضعف ووهن وعدم مقدرة على الصمود أمام الأعاصير – وسيلة موصلات تقله عبر أزمنة التاريخ بحثا عن الهوية التى فقدها الوطن ، وهى صورة بليغة استطاع الشاعر من خلالها أن يجسد معانيه الذهنية التى تختلج فى نفسه، وتعتمل فى فكره ، وتموج بها عواطفه ومشاعره ، كما أن إضافة السنبلات إلى الزمن العاتى ومافيه من صروف ونوائب ونكبات وقهر ومحن وخطوب فى غاية الدقة ، فهى تكمل بناء الصورة ، وتوحى بمدى مايعانيه الشاعر من الام النفس فى زمن الاغتراب والضياع.

وإذا كان عنوان الديوان يحمل هذه الصور المشعة المتعانقة ، والرموز البيانية ذات الإيحاءات المتلاحقة فإن كلمة " سنبلات" بما تحمله من رموز الخير والنماء توحى ببقية من الأمل تراود شاعرنا وهو فى بحثه عن هوية الوطن الإسلامى ،

وشمسه الغائبه وراء أزمنة النفى ، وسحابات التيه ، وأنهار الجروح . وفى خضم هذا البحث يحمل شاعرنا لواء الأمل ، ويرفع شراع الرجاء.

وقصائد الديوان – وإن باعد بينها الزمان والمكان – إلا أنه يربط بينها رباط فكرى واحد ، وينتظم عقدها خيط شعورى واحد هو "الغربة" التى سيطرت على الشاعر، واستحوذت على حسه ومشاعره ، فالشاعر كما تنطق أشعاره غريب مسافر ، ولابد للمسافر الغريب من الأوبة حيث الأمان والاستقرار ، ولكن أوبة شاعرنا كانت دائما إلى الغربة، فهو مسافر فى أعماق الزمن يبحث عن مرفأ ترسو عليه سفينته فلايجد إلا مرفأ الغربة ، يقول الشاعر: « إن الغربة قدرنا فى هذا العصر، ولأن الشاعر يحلم بعالم جديد ، ويعيش حالة تصادمية مع الواقع فإنه غريب حتى ولو عاش فى مسقط رأسه ، والغربة الزمانية والغربة المكانية والغربة النفسية كلها تتراكم فى أعماق الأديب ، فدائما يشعر بأنه فى زمن لم يأت بعد ، ومشتاق إلى مكان لم يره بعد ، ومتطلع إلى لحظة يجد فيها نفسه ولكن هيهات !!!.

وقد تمخضت تجربة الغربة فى « ليبيا » عن عدة تجارب شعرية جديدة ، تجسم فيها الإحساس بالاغتراب الزمانى والمكانى ، وحدقت فى ذاكرة التاريخ ، فأبصرت البطولات الإسلامية والعربية فسافرت إليها وعدت معها بعد تشكيلها من جديد لتدفع بالواقع الآسن إلى مناطق الارتواء والخصوبة والنماء ، وفى مكة المكرمة أضاءت الغربة جوانب النفس، وأعادت للذات هويتها المفقودة»[1].

ويمثل هذا الديوان اتجاها جديدا لشاعرنا « صابر » من حيث الصياغة الفنية ، والمعانى الإيحائية ، والألفاظ ذات الدلالات المتعددة ، والإشارات المكثفة ، فشاعرنا فى ديوانه هذا يتجه تدريجيا نحو الرمزية وقد جمع فيه بين عمودية القصيدة ، ونهجها الحداثى.

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية : ١٩٨٨م.

والديوان الثالث « الحلم والسفر والتحول » أصدره قطاع الآداب بالمركز القومى للفنون والآداب تحت سلسلة « كتاب المواهب » سنة ١٩٨٣ .

وقد وقع لبس وخلط فى تاريخ طبع هذا الديوان وتاريخ طبع ديوان « المسافر فى سنبلات الزمن » ولم يفطن إليه أحد ممن كتبوا عن شاعرنا «صابر» ولعلنا نلتمس لهم العذر إذا علمنا أن شاعرنا – أيضاً – كان سببا فى هذا اللبس ، فقد ذكر شاعرنا فى الحوار الذى دار بينه وبين مندوب جريدة الأنباء الكويتية أن ديوان « الحلم والسفر والتحول » هو الديوان الثانى له[1]. ، ثم ذكر فى قائمة إصداراته المطبوعة على غلاف ديوان « المسافر فى سنبلات الزمن» أنه أى : ديوان الحلم والسفر والتحول « تحت الطبع » وهذا دليل على أن المسافر فى سنبلات الزمن طبع قبل ديوان الحلم .. كما ذكر فى قائمة مطبوعاته المذكورة فى آخر ديوان الحلم والسفر والتحول[2] ديوان المسافر فى سنبلات الزمن على أنه من ضمن مطبوعاته التى صدرت ، وهذا دليل ثان على أن ديوان المسافر طبع قبل ديوان الحلم . ثم عاد وقدم فى قائمة إصدارته فى آخر ديوان « المرايا وزهرة النار»[3]. ديوان « الحلم » على ديوان « المسافر » على أن الأول طبع فى عام ١٩٨٢م والثانى فى عام ١٩٨٣. ثم أكد ذلك فى آخر مطبوعاته وهو كتاب « الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق»[4].

وقد ذهب الدكتور " حامد أبو أحمد" فى مقاله عن « ديوان المرايا وزهرة النار » مذهب شاعرنا « صابر » فى تقديم طبع ديوان الحلم والسفر والتحول على ديوان المسافر فى سنبلات الزمن .

---

(١) أنظر الجريدة ، ١٩٨٨م.
(٢) الحلم والسفر والتحول ، ص ١٢٥.
(٣) المرايا وزهرة النار ، ص ١٣٨.
(٤) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، ص ١٩٧.

والذى لايقبل الشك أن ديوان « المسافر فى سنبلات الزمن » قد طبع قبل ديوان « الحلم والسفر والتحول» فى عام ١٩٨٣م . والدليل على ذلك أن قصائد ديوان « المسافر » أرخت فيما بين علمى ١٩٧٠م ، و ١٩٨٢م . أما قصائد ديوان « الحلم والسفر والتحول » فقد استدرك فيها الشاعر ماقيل فى هذه المدة ولم ينشر فى ديوان المسافر ، فضلا عن أن فيها قصيدتين أرخت أولاهما فى يناير ١٩٨٣م ، والثانية فى مارس ١٩٨٣م.

فكيف يطبع الديوان فى عام ١٩٨٢م ويحمل بين دفتيه شعرا قيل فى ١٩٨٣؟! ، بالإضافة إلى أن رقم الإيداع بدار الكتب المصرية لديوان المسافر[1] أسبق من رقم إيداع ديوان التحول . وهذا دليل آخر على صحة ماقلناه.

ويقع ديوان الحلم والسفر والتحول فى خمس وعشرين ومائة صحيفة من القطع الصغير ، وقد صدر الديوان بإهداء يقول فيه :

إلى ابنتى "تيسير"
وابنى "أحمـــد"
فهما حلـــم القلـــب
وسفـــر العقـــل
وتحـــول الرؤى

وتعريف بالشاعر للشاعر وهو ماعرف به نفسه فى ديوان المسافر . ويضم الديوان إحدى وعشرين قصيدة ، عنون باسم واحدة منها ، وقد ضم الديوان قصيدة « عزف منفرد أمام مدخل القرن الواحد والعشرين» وهى القصيدة التى ضمها ديوان « فكر الناشئين» الذى طبعته جامعة الأزهر ونشرت فيه القصائد التى فازت فى المسابقة الشعرية للجامعة الأزهرية ، وفازت هذه القصيدة بالجائزة الأولى سنة ١٩٧٢م.

---

(١) رقم إيداع ديوان المسافر ١٩٨٣/٣٥٤٠، ورقم إيداع الحلم ١٩٨٣/٣٨٢١م

وقد تكررت فى الديوان بعض القصائد التى ضمها ديوان المسافر فى سنبلات الزمن وهى :

- مشاهد من ملحمة العشق والبطولة .
- إشراقات من سفر التكوين والنبوءة .
- أسماء الثورة والعطاء والتحـــــدي.

وتقع هذه القصائد فى اثنتين وأربعين صحيفة ، أى أنها تمثل ثلث صفحات الديوان وماأظن شاعرنا أتى بها لغرض فنى ، وأحسبه فعل ذلك ليكبر حجم الديوان ، والديوان مزيج من القصائد العمودية وغيرها ، وتغلب عليها النزعة التأملية ، التى تغوص فى أعماق الطبيعة ومظاهرها ، وتمزج بينها وبين أحلامه ورؤاه ، فالشاعر فى هذا الديوان ظمآن - مغامر بلاحدود، يبحث عن الظل الأخضر فى مدارات الزمن ، ودنيا المسافات ، وغيم النهايات ، وأطياف النبوءات ، يستمطر سحابة الوعد ، فإذا بالسحب قد أمست بسيل الجدب هتانة ، والوعد ذابل ، يغذيه خريف ويرويه جفاف.

ويظل شاعرنا يبحث عن الظل الأخضر ظل الحقيقة .. ظل الحرية .. ظل الأمان .. ظل الحب ، لايصده نصب ، ولايضنيه وصب ، ولايعييه تعب، فزاده الغناء فى مسرح الرجاء .

وتبدو الرومانسية واضحة جلية فى هذا الديوان ، فمعظم قصائده تدور فى فلك الطبيعة ، وتحلق فى افاقها ، ولاعجب . فشاعرنا عشق الطبيعة منذ نعومة أظفاره ، وليس عجيبا أن يتجه إليها ينتزع منها صوره ، ويبثها مشاعره، وينحت منها عناوين قصائده ، فالسنبل والرياح ، الوعد والريح ، سحابة الوعد ، ملامح من تاريخ شجرة ، الظل الأخضر ، وصخرة الحمامة عناوين قصائده ، والشمس والقمر ، والصخرة والشجر ، والبحر والنهر ، والظل والزهر ، والنجوم والثمر ، والسحاب والمطر ، والجبال والسهوب ، والآصال والغروب ، وغيرها من مظاهر الطبيعة مفردات قصائده ، وجزئيات صوره ، ودولاب أفكاره ، ورموز مشاعره وانفعالاته.

والديوان الرابع « المرايا وزهرة النار » طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م ، ويقع فى إحدى وأربعين ومائة صحيفة من القطع المتوسط اشتملت على إهداء وأربع عشرة قصيدة ، ودراسة للديوان تحت عنوان « الشعر بين القديم والجديد » بقلم د. عبدالحكيم حسان ، ثم تعريف بالشاعر ومولفاته الأدبية .

وقد عنون الديوان – كسابقيه – بعنوان إحدى قصائده ، كما كرر الشاعر فيه قصيدة « قافلة الغرباء» التى نشرت فى ديوان " المسافر فى سنبلات الزمن" وهو تكرار لغرض فنى ، فالقصيدة مع أخواتها : من فتوحات الغربة ، والتائه ، والغريق تمثل خيطا فنيا وشعوريا واحدا هو الشعور بالاغتراب فى عالم التيه والضياع.

ويعد هذا الديوان مزيجا من المذاهب والرؤى الشعرية المختلفة ، والمرايا الفنية المتعددة ، فقصائده " تجمع بين القديم والجديد وبين العمودى والحر ، وبين الرمز والتصوير ، وتمزج بين التاريخ والحياة وبين الذات والموضوعية[١]. "وعنوان الديوان" " عنوان رمزي[٢]. وهو ينم عن توجه حداثى ، فالمرايا أصبحت من الكلمات التى يعبر بها عن رؤى جديدة ، ووصلها بزهرة النار يوحى بأن الشاعر قد رغب – بل دخل بالفعل – فى مناطق النفس الموحشة، وعالمها السحرى الغريب ، وزهرة النار تذكرنا بعنوان ديوان الشاعر الرمزى « شارل بودلير» «أزهار الشر».. فإسناد الزهرة إلى النار أو الأزهار إلى الشر ينطوى على نوع من التناقض الذى ولع به الرمزيون ، وهو تناقض يعمل على إبراز الخلل فى الطبيعة والمجتمع والناس، وهو خلل يحس به الشاعر ويئن من وطأته على نفسه النبيلة المتطلعة إلى الحق والخير والجمال[٣].

---

(١) المرايا وزهرة النار ، ص ١٢٤.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ص ٤٢٦ العدد العاشر ، ١٩٩٠م ، مقال د/ ناجى فؤاد بدوى بعنوان رؤية نقدية لديوان المرايا وزهرة النار.

(٣) مقال د/ حامد أبوأحمد بعنوان : قراءة فى ديوان المرايا وزهرة النار ، ١٩٨٩م بتصرف. نشر بمجلة "الشعر"

ومن هنا جاءت قصائد الديوان " رموزا لخلجاته الروحية وهي في صراعه بين دوافع فطرته وأحلامه التي يهفو إلى تحقيقها ، وبين مثله الأخلاقيه التي يعتز بها ، وبين مواجيد عاطفته وهي في عرام أشواقها[1].

وخامس دواوين الشاعر ديوان « مدائن الفجر» وهو قيد الطبع بنادى مكة الثقافي بالسعودية ، وقصائده عمودية أصيلة فقد رجع الشاعر فيه إلى أصالته العربية التي أفلتت منه في خضم التيارات الأدبية الحديثة ، بعد أن خاض غمار شعرها وأدرك بحسه وذوقه ، وفكره أنه سحابة صيف : وبرق خلب ، وسراب بقيعة يحسبه الشاعر شعرا وماهو بالشعر ، ويظنه القارئ نثرا وماهو بالنثر .. فالشعر العربي العمودي الأصيل يعد لنوابغ الشعراء الذين يملكون أدواته المستقر والمستودع مهما تجاذبتهم أمواج التجديد ، وتيارات التبديد.

والشاعر « صابر » في ديوانه هذا الذي تغنى فيه للوطن الإسلامي الكبير قد استوى على سوقه ، ووصل إلى قمة الإبداع الفني ، بعد أن صهرته التجارب الفنية ، فجاء ديوانه عموديا مقفى ، مزج فيه شاعرنا بين الماضي المشرق والحاضر المقلق ، ومن قصائد الديوان قصيدته « مدائن الفجر» وهي رفض لواقع العالم الإسلامي الآسن ، ومحاولة للعودة به إلى زمن الإشراقات ومطلعها:

معلـــق بـــين تاريخـــي وأخلامـــي
ووواقعي خنجـــر في صـــدر أيامـــي
أخطو...فيرتـــد خطوي دون غايتـــه
وما بأفقي سوى أنقاض أنغـــــام
تناثـــرت في شعاب الحلـــم أوردتي
وفي دمائي نمت أشجـــــار أوهامي
مدائن الفجـــر لـم تفتـــح لقافلتي
والخيل .. والليل .. والبيداء قدامي !!!

---

(١) مقال للأستاذ / محمد عبدالواحد حجازي بعنوان « نظرات في ديوان» المرايا وزهرة النار...

والسيـــف والرمـــح فى كفّــيَّ من زمن

لكننى لم أغادر وقـــع أقـــدامى !!!

الأربعـــــونَ توافينـــى ومابلغـــت

رؤاى مشرق أسفـــارى وأحلامــــــى

ماكـــل مايتمنـــى المـــرء يدركه

فالرمـــح يطعن مالايبتغى الرامـــى!!!

ثم يأسى لما أصاب الوطن الإسلامى من ضياع وتمزق فيقول:

وغبت ياوطنا . ضاعت هويتــه ∴ والأرض تنبش عن أشلاء أقـوام

هذا لسانك مسجـون تقيــــده ∴ مواقف الوهم من زيف وإحجام

وذى خطاك بلادرب يصاحبهـــا ∴ وذى رؤاك بلالـــون وأعـــلام

وذى حدودك بالنيران مضرمـــة ∴ وخلفها الناس ترعى مثل أغنام

وكأن شاعرنا - بصدق حاسته ، ونفاذ رؤيته يصور واقع العالم الإسلامى فى هذه الأيام ، وما ألم به من أحداث جسام، وذلك فى قوله:

ودار فى فلك الشيطـــان موكبهم ∴ يسقى بفكر لقيط النبــع هــدام

لمركب الشمس طاروا وامتطوا لهبا ∴ وأمطـــروك بأحقـــاد وآثام

فأورقت بالمنايا احمـــر ساحتنـــا ∴ ولونت بدماء الحـــرب أعلامـــي

وشوهت أوجه الاطفال ياوطنـــى ∴ والموت طارد أطفالا بأرحـــام

ثم يبين أن خلاص العالم الإسلامى يكمن فى عودته إلى رحاب الإسلام وثبج الإيمان فيقول:

فهل نعود .. كما كنا .. بنى رحــم ∴ نقضى على هاتف فى النفس قسام؟

نعـود مـن غربـــة للتيــه تطعمنا ∴ ونرقـب الفجر يأتـــى بعــد إظـلام

ونحمـــل السيف فى كـــف موحدة ∴ تذود عن وطـــن فى فك إجـــرام

ترنو «لبدر» وفجر الحـــق فى «أحد» ∴ تهفو إلى « أســد » للشرك قصـــام

فمـن هنـــاك تعـود الآن قافلتـى ∴ وتبصر الفجر فى آفـاق إسلامـي

تعود فى ثبـج الإيمـــان سابحـــة ∴ والموج حول ضياهــــا مثل أعـلام

أما الديوان السادس وهو : "اللحن الخالد" فقد نوه به الشاعر فى ديوانه الأول « بنضات قلبين» ومازال قيد الطبع ، وإن كانت بعض قصائده قد نشرت فى ديوان « المسافر فى سنبلات الزمن » و « الحلم والسفر والتحول »

وإلى جانب هذه الدواوين الستة فلشاعرنا مسرحية شعرية كان قد نوه بها أيضا فى ديوانه الأول تحت عنوان « جهاد ونصر » ومازالت قيد الطبع ، وقد غير الشاعر عنوانها فصار « النبوءة ».

ومن أبياتها قوله:[1].

الأم : سالم أبشر فالإلـــه أجابا	∴	وظلام الأحـــزان ولـــى وغابـــا
طفلة جاءت كالبــدور جمـــالا	∴	عانقت طفـــلا للعـــلا وثابـــا
الأب: توأمان؟ هلت علينا بشائـــر	∴	وتغنى بفرحتـــى كل طائـــر
الأم : سالم : أنظر للسماء تجدها	∴	بددت بالنـــور السنـــى الدياجر
أنجـم الأفـــق حـــوم حـــول مهـد	∴	ضم طفلى وطفلتـــى بالبشائـــر
الأب: ورمال الصحراء هذى تغنت	∴	وربا الـوادى بـاركت كـــل زائر

* * *

(١) ديوان نبضات قلبين ، ص ٧٦.

المبحث الثانى

مفهوم الشعر وغايته :

بعد أن تحدثنا عن مصادر شعر الشاعر « صابر عبدالدايم» نأتى إلى الحديث عن شعره بأغراضه ، ومنابع التجربة فيه ، وبنائه الفنى ، وقبل أن نخوض غمار شعره نلقى الضوَ على مفهوم الشعر وغايته ووظيفة الشاعر من خلال رؤيَة الشاعر « صابر » الإبداعية ، ومذهبه الشعرى.

ومما لاشك فيه أن الشعر يعد من أسمى الفنون وأبهاها ، وأرقها وأعلاها ، وأعذبها وأسناها ، وأجملها وأحلاها ، لما فيه من سنمو بالنفس ، وارتقاء بالحس ، وتجسيد للمشاعر ، وتهذيب للعواطف . فهو فيض الشعور والوجدان ، وعالم النجوي، وضمير الأكوان ، تشرق فى كل نفس شارقه ، ويبرق فى كل صدر بارقه ، ويسطع فى كل فكر كوكبه ، وتتدفق فى كل وجدان بحوره ، وتتألق فى كل قلب بدوره ، وتتراقص على شطآن النفس أزهاره ، وتحلق فى سموات الحس أقماره.

فلاعجب إذا ماارتفعت فى كل عصر أعلامه ، وسرت فى كل زمان أنسامه ، وسمت فى كل مكان أنغامه ، وسيظل الشعر شعرا بما فيه من حلاوة الجرس، وطلاوة النغم، وروعة الموسيقى، ونشوة الإيقاع ، وجميل العبارة ، ونبل الإشارة ، ودقة المعنى، وصدق الشعور ، وجمال الصورة ، ورحابة الخيال، وشدة الأسر، وقوة التأثير.

ولكل شاعر وناقد مفهومه الخاص للشعر وغايته ووظيفته . فالشعر كما يقول ابن سلام الجمحى :« صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ماتثقفه العين ، ومنها ماتثقفه الأذن ، ومنها ماتثقفه اليد ، ومنها مايثقفه اللسان[1]. وهو من أفضل صناعات العرب كما يقول

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحى ، جـ ١ ، ص ٣.

عمر بن الخطاب: « خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته ..» وهو "علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبة من الإحسان[1]. كما يقول القاضى الجرجانى وهو « ضرب من النسج وجنس من التصوير»[2]. كما قال الجاحظ: وهو « فن استخدام الكلمة لتؤثر نفس التأثير الذى يحدثه الرسام باستخدام الألوان[3]. كما قال: "ماكولاى". وهو كما تقول "اليزابث درو: "فن وليس رسالة اجتماعية ، ومع ذلك لايمكننا أن نفصله عن المعنى ، فهو يبدأ بمعطيات خارجية ويصقلها فى الداخل ويخلقها خلقا جديدا . وهو فى النهاية تركيب لفظى له رسالته ، بمعنى أن الشاعر لايعطينا زخرفة جرسية فقط[4].

ولو ذهبنا نتتبع مفهوم الشعر ورسالته عند الشعراء والنقاد قديما وحديثا لبعدنا كثيرا عن دائرة البحث، ولكننا نأتى إلى شاعرنا « صابر عبدالدايم» لنقف على مفهوم الشعر عنده ورسالته فى الحياة .

فالشعر كما يراه الشاعر « صابر» فن صادق ، والشاعر فنان أصيل[5]. وليس الشعر مجرد مغامرة لغوية تقوم على مبدأ الاختيار ، والانحراف عن المألوف[6]. ، وإنما هو فن صادق عماده : الوزن والقافية والجودة الفنية[7]. وهذا الفهم نابع من منظور عربى أصيل.

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ص ١٥.

(٢) الحيوان ، للجاحظ ، جـ٣ ص ١٣١.

(٣) أنظر آراء كل من : جونسون – اليوت – شيللى – كارليل – كولردج – ادجار آلان – راسكين – هازلت .. وغيرهم فى كتاب النقد الأدبى ، د/ داود سلوم ، ص ١٤٧.

(٤) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه . لاليزابث درو ، ص ١٠٤.

(٥) بنضات قلبين ، ص ١٣.

(٦) جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨م.

(٧) نبضات قلبين ، ص ١٣.

ثم تأثر شاعرنا فى فهمه للشعر وهو فى باكورة شاعريته - بنظرية "الإلهام الشعري" وهى نظرية فلسفية يونانية قديمة ، صورها أفلاطون فى قوله: "إن الشاعر كائن أثيرى مقدس ذو جناحين ، لايمكن أن يبتكر قبل أن يلهم فيفقد صوابه وعقله ، ومادام الإنسان يحتفظ بعقله فإنه لايستطيع أن ينظم الشعر ، فالشاعر فى أثناء فترة الإلهام يكون مسلوب اللب والإرادة ، إذ أن احتفاظ الشاعر بعقله المميز الناقد يفقده القدرة على إبداع الشعر"[1].

وقد كان شعراؤنا القدامى يعتقدون فى "الإلهام" فذهبوا إلى القول بأن "للشعر شيطانين يدعى أحدهما " الهوبر" والآخر "الهوجل" فمن انفرد به "الهوبر" جاد شعره وصح كلامه ، ومن انفرد به "الهوجل" فسد شعره"[2]. وكان لكل شاعر شيطان ينطق الشعر على لسانه ، فكان "هبيد" - "ومسحل السكران- ولافظ بن لاحظ - وهباب - وهاذر بن ماهر - ومدرك بن واغم - وغيرهم من شياطين الشعراء ، كان الصلادم ، وواغم من أشعر الجن"[3]. وكثيرا ما افتخر الشعراء بشياطينهم ومن ذلك قول الشاعر أبى النجم:

إنى وكل شاعر من البشـــــــر ∴ شيطانه أنثى وشيطانى ذكر[4].
فما رآنى شاعر إلا استتـــــر ∴ فعل نجوم الليل عاين القمـــــر

وقول الشاعر:

إنى وإن كنت صغير السـن ∴ وكان فى العين نبوعنـــى[5].
فإن شيطانى أمير الجـــن ∴ يذهب بى فى الشعر كل فن

---

(١) العبقرية فى الفن / لمصطفى سويف . سلسلة المكتبة الثقافية ، عدد ٢٠/١٩٦٠م بتصرف.
(٢) جمهرة أشعار العرب ، ص ٥٤.
(٣) جمهرة أشعار العرب ، ص ٤٠ ومابعدها.
(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، جـ٢ ص ، ٦٠٧.
(٥) شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى - للشيخ محمد محى الدين عبدالحميد ، ص ١٨١- المقامة الأسودية.

وقد ألف "ابن شهيد الأندلسي" رسالة « التوابع والزوابع» وهى رحلة إلى عالم الجن وعلاقته بالإبداع الشعري.

تأثر شاعرنا « صابر عبدالدايم» بهذه النظرية " نظرية الإلهام " وهو فى بدء حياته الشعرية فنظم قصيدة بعنوان " الشعر والشاعر " وهى تنطق بذلك التأثر وفيها يقول :

الشعر فيض من الرحمن مجراه .·. لو كان وحيا لقلت الله أوحاه[1].

لكنه سلسل فاضت مشاعرنـــا .·. به وكـنز لنـا الرحمن أهــداه

ولمحة من سنا الرحمن مشرقــة .·. وهاتف صادق فى القلب سكنـاه

كما تأثر شاعرنا – أيضاً– فى مفهومه للشعر بمذهب جماعة الديوان ، فالشعر عنده فيض الشعور وترجمان النفس « والناقل الأمين عن لسانها ، فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها فالشعر كاذب، وكل شئ فى هذا الوجود كاذب، والدنيا كلها رياء ، ولاموضع للحقيقة فى شيئ من الأشياء[2].

فالشعر هو الحقيقة فى أبهى صورها « وقد يخالف الشعر الحقيقة فى صورته ، ولكن الحر الأصيل منه لايتعداها ، ولايمكن أن يشذ عنها ، لأنه لاحقيقة إلا ماثبت فى النفس واحتواه الحس ، والشعر إذا عبر عن الوجدان لاينطق عن الهوي. « إن هو إلا وحى يوحى »[3].

على شواطئ وادى النيل قد ينعت .·. أحـلام شاعـره آمـال آسيه[4].

والشعر من نفس الرحمن مقتبس .·. وألسن الحـق فى دنيـا تعاديه

لولاه ماكان للدنيا نضارتهـــا .·. فالشعر فى الكون أضواء تجليـه

---

(١) نبضات قلبين ، ص ١٣.
(٢) مقدمة ديوان لآلئ الأفكار لشكرى ، بقلم عباس العقاد.
(٣) ديوان شكرى ، جـ٥ ، ص ٣٦٢.
(٤) نبضات قلبين ، ص ٨١.

والشعر عند شاعرنا « صابر » فن صادق ، وليس كذبا بل هو منظار الحقائق ومفسر لها ، وليست حلاوة الشعر فى قلب الحقائق بل فى إقامة الحقائق المقلوبة، ويوضع كل واحدة منها فى مكانها ، ولئن كان بعض الشعر نزهة فإن بعض النزهة فرض ولئن كان بعض الشعر رحلة فهى رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم[1]. فليس الشعر حلية أو زينة أو زخرفا أو كذبا ورياء . وقد أبرز شاعرنا هذه المعانى فى قصيدته « إيقاعات غير منتظمة على باب الوجدان وفيها يقول مخاطباً حواء:

لاتحسبى الشعر فى عينيك أغنيـــة
توحى إلى الشاعر الهيمان ألحانه[2].

أو تحسبيه على نهديــك لؤلــؤة
تزيح عن قلبه الولهان أشجانه

أو تحسبيه على خديــك فاكهـة
تذوب فى فمه تنسيــه أحزانــه

أو تحسبيه على كفيــك جوهــرة
فواحة من شذاها تحتسى الأنسام

أو تحسبيه عناقيــدا منظمــة
تهدى إليك وينسى الشعــر أكوانــه

وإنما الشعر أفق مشرق مغلقــة
بالصدق والصدق فى أرجائها زانــه

وهو سحر النفوس ، ومعبد الأرواح ، ومأوى القلوب:

كأنه السحر فى الأرواح يأسرهـــا
حتى تطير بــلا ريش بدايتــه[3]

كأنه معبد والـــروح قــد سجــدت
فيه وكان حمى قلبــى ومـــأواه

والشعر عند شاعرنا باعث من بواعث السعادة والنشوة ، ينفس الكروب ، ويبهج القلوب ، وينشى النفوس ، وفى هذا يقول الشاعر « صابر»:

ينفس الكــرب عنــا زاده الــم .·. ويزرع الفرح فى قلب تمنــاه[4].
يلقى على النفس إلقاء ليسعدها .·. واللفظ منا ومن ذا الرب معنـــاه
ماحل فى الجسم إلا ذاب جامده .·. وصار روحا وبالآفاق مســراه

(١) ديوان شكري جـ٥ ، ص ٣٦٢.
(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٩٦.
(٣) نبضات قلبين ، ص ١٣.
(٤) نبضات قلبين ، ص ٢٣.

ويؤكد هذا المعنى فى قصيدة أخرى فيقول:

لولا ماكان للدنيا نضارتها .·. فالشعر فى الكون أضواء تجليه[1].
وقد يجمع أشتاتا ويسعدهم .·. بيت من الحب قد صيغت معانيه
وربما .. كلمات برة .. نزعت .·. من قلب سامعها .. داء يعانيه

وشاعرنا فى هذا أيضاً متأثر بجماعة الديوان ورؤيتها للشعر، فالعقاد يرى أن الشعر « باب كبير من أبواب السعادة ، بل إن السعادة مالم تعقها حوائل الحياة لاتدخل إلى القلوب إلا من بابه ... والشعر وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء فى الزمن الذى ترضاه خواطرنا ، وتأنس به أرواحنا ، لأنه سلطان متربع فى عرش النفس، يخلع الحلل على كل سانحة تمثل بين يديه ، ويغض الطرف عن كل مالايجب النظر إليه . والشعر أيضا مسلاة لمن شاء السلوى ، وصدى تسمعه النفس فى وحشة الوحدة ، فتطمئن إليه كما يطمئن الصب التائه إلى النداء فى الوادى ، ليأنس برجع صوته أو يسمع من عساه يقبل نجدته[2]. ، وماذلك إلا لأنه مجلبة للذة ، ومدعاة إلى السرور[3].

والشعر عند الشاعر « صابر » مرآة الكون الناصعة ، تنعكس على صفحتها مظاهر الكون ، ووجدانات النفس الصادقة ، وتجاوبها مع هذه المظاهر .

والشعر للكون مرآة بها نصعت .·. لنا ظواهره تجلو خفاياه[4].

ومن خلال هذه المرآة يتأمل الشاعر أسرار الكون ودقائقه ، وللشاعر كونه الشعورى ، وعالمه اللاشعورى ، يشبع فيهما رغباته ، ويعايش فيهما تجاربه التى يجد متعته ولذته فى إبداعها واستجلائها ، واستكناه أسرارها، وسبر أغوارها ، ونقلها إلى القراء والمستمعين فى صورة باهرة تثير المشاعر وتهز الوجدان ، وتوقظ فيهم استجابات معينة . والنفس الإنسانية مهيأة

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٨١.
(٢) مقدمة ديوان لآلئ الأفكار . بقلم العقاد.
(٣) دراسات فى علم النفس الأدبى ، ص ٦٨ تأليف : حامد عبدالقادر.
(٤) نبضات قلبين ، ص ١٣.

بطبيعتها لتلقى الومضات الشعورية ، والسبحات الجمالية التى يبثها الشاعر عبر أثير قصائده ، وذبذبات أوزانه ، والاستجابة لها . وذلك لأن الأثر الأدبى « تعبير عن رؤية للواقع ، وهذا الواقع الذى يراه الأديب إنما هو نفسه ونفوس الآخرين فى التقاء بعضها ببعض ، وفى اضطرابها بين الأحداث ، وفى تفاعلها مع الطبيعة ، وهى رؤية تتم للأديب بتعاطف ومشاركة وجدانية وحدس وبصيرة، والأثر الأدبى من هذه الناحية يفتح أعيننا على هذا الواقع الذى تحجبه عنا ضرورات الحياة[1]. فالأثر الأدبى إذن وسيط بين الإنسان العادى وبين الوجود[2]. وقصيدة الشاعر « آمين»[3] تدل على تأثر شاعرنا بالمذهب الواقعى.

وفى تتبع مفهوم الشعر وغايته عند شاعرنا نلمح تأثر شاعرنا فى فهمه للشعر بالمدرسة السيريالية ، وهى مدرسة أدب اللاشعور، أدباللاوعى ... أدب ماوراء الواقع ، فالأدب عند السيريالين يجب « أن يتحلل من حياة » واقع الشعور وأن يتجه إلى واقع اللاشعور أو واقع اللاوعى ، أو الواقع المكبوت فى داخل النفس البشرية ، ويجب أن يحرر هذا اللاشعور من عقاله، وأن يخرج من مكبوته، وأن يسجله الإنسان فى أدبه[4]. وقد وجد السيرياليون فى اللاشعور أو العقل الباطن مرتعاً خصبا لهم ، حيث توجد صور الأشياء على نحو غامض مبهم ، وتترابط ترابطا نابعا عن عالم آخر غير عالم الواقع ، وعلى الأديب أو الفنان أن يستكشف مجاهل هذا العالم بموجوداته وروابطه وألوانه وخطوطه ، حتى يثير فى الناس الدهشة المطلوبة وحب الاستطلاع المرغوب فيه للوصول بهم إلى مناقشة العالم الواقعى المحيط بهم[5].

---

(١) علم النفس والأدب ، د/ سامى الدروبى ، ص ١٤٠.٨ ط ٢ عام ١٩٨١م دار المعارف .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٦.

(٣) الحلم والسفر والتحول ، ص .

(٤) تاريخ الأدب الحديث د/ حامد حنفى داود ص ١٣١ بتصرف ط ١ عام ١٩٦٩م

(٥) مجلة فصول يوليو ١٩٨١م ، ص ١٦١ بتصرف يسير.

ويبدو تأثر شاعرنا « صابر » بهذا المذهب واضحا فى قوله :[1]

وإنما الشعر آفاق مغلقة .. بالصدق والصدق فى أرجائها زانه

نطل منها على المجهول مختبئا .. فى حانة الغيب يسقى الكل تهتانه

نطير فيها إلى "اللاوعي" يرشدنا .. وحى الشعور ومانستطيع كتمانه

هناك فى جزر الأحلام مهبطنا .. حيث الرؤى بثياب الطهر هيمانه

والظل والماء والأشجار خاشعة .. للحب والحب يهدى الكل تيجانه

والليل والصمت والأحلام ساجدة .. حيث الصفاء غدا للكل سلطانه

والقلب والنفس فى نور الهوى سبحا .. وأفرغ الكل بعد السبح أحزانه

والروح فى الأفق المسحور سابحة .. غنت نشيد الخلود العذب فينانه

لشاطئ النور قد سارت مواكبنا .. حيث المباهج والأحلام ريانه

عرائس الجن فى أنحائه انتشرت .. تموج فى لجة الأسرار عريانه

هناك حيث جواد النفس منطلق .. بلاحدود وصار الكون بستانه

هناك حيث عبير النور أردية .. تختال فى عطرها الأرواح مزدانه

الورد والفل والأزهار فى يدنا .. فيثارة رتلت للقلب ألحانه

عقارب الكون عن دورانها وقفت .. ليدفن الزمن المحدود عنوانه

وقد تداخلت الأشياء وامتزجت .. فالصبح كالليل كالأسحار سهرانه

ومن عالم اللاشعور يهبط شاعرنا إلى عالم الشعور والإحساس حيث الرومانسية بكل خصائصها وسماتها من توهج العاطفة ، وتتدفق الشعور ، وفيض الوجدان ، والتعبير عن الذات ، ووصف ماتعانيه من خلال المزج بينها وبين الطبيعة ، والهروب من الواقع المؤلم إلى عالم الخيال المبتكر ، ففيه متنفس لتلك المشاعر المتأججة والعواطف الجياشة ، والتحرر من قيود الشكل والتجديد فى بناء القصيدة.

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٩٦:٩٩.

وللشاعر «صابر عبدالدايم» قصائد كثيرة فى دواوينه الشعرية مثل : "الحلم والسفر والتحول - الصباح - لست أدرى - الشاعر والشمس والمساء - الطريق - هروب - ملامح من تاريخ شجرة - صخرة الحمامة - وكلها تدل على تأثر شاعرنا بالمذهب الرومانسى فى مفهومه للشعر، وقد ذكرنا نماذج منها فى معرض حديثنا عن ثقافته.

ومن الرومانسية ينطلق شاعرنا إلى الرمزية حيث الألفاظ الموحية ، والرمز أداة للتفاهم والإيحاء والتكثيف الفنى للصور ودلالات الألفاظ المتنوعة . وقصائد الشاعر : المرايا وزهرة النار - التائه - مهلا ياسيدتى - الفارس والشمس ، تدل على تأثر الشاعر بالرمزية فى نظرته للشعر ، وبهذا نكون قد عرضنا لمفهوم الشعر عند شاعرنا « صابر » ونأتى بعد ذلك إلى مفهومه لرسالة الشاعر فى الحياة .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

رسالة الشاعر ووظيفته :

بعد أن تحدثنا عن مفهوم الشعر عند شاعرنا « صابر» نأتى إلى الحديث عن مفهومه لرسالة الشاعر فى الحياة . ورسالة الشاعر كما يراها شاعرنا رسالة سامية تجل عن الوصف ، وتنآى عن الملق والترف والتسلية وقد نظر شاعرنا إلى عالم الشعراء نظرة واقعية فرأى كثيرا منهم قد انسلخوا من رسالة الشعر السامية ، وترديوا فى حمأة الملق والرياء والتمدح الكاذب والهجاء ، وسبحوا فى بحار الزيف ووقفوا على مرافئ الخداع . يجرون وراء المال ، ومن أجله يتراشقون بالنبال ، فإذا به يجسد لنا ذلك الواقع الشعرى المر ، والغاية المؤلمة التى يسعى إليها الشعراء ، والوسائل المسفة التى ركبوها للوصول إلى غاياتهم الدنيئة ورغباتهم الساقطة فيقول:

فالشعر العربى انتحر على أبواب الأمـــــراء[1].

والشعراء تراموا بنبال الحرف العميـــــــاء

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفـــــــاء

يلقون السمع وأكثرهم مداح هجـــــــاء

وتهاووا كل مغروس فى عينيه سهام ريـــــاء

وعلى الأرض قوافيهم برزت كالأحشـــــــاء

ماوهبت للعالم كل بحورهم قطرة مـــــاء

وسفائنهم فى الزيف تجدف فالدينار هو المينـاء

ثم يصور الشاعر تلك المأساة التى يحياها الشعراء الغرباء فى زمن كل مافيه غريب فيقول:

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ١٩-٢٠.

والشاعر إذ يصدق تقتله كلمات السفهـــاء[1].

والشاعر إذا يشرق تخنقه ظلمات الجهـــلاء

والشاعر إذ يسبح تبلعه حيتان البلهـــــاء

والشاعر إذ يتمرد يسجن فى قافية الجبناء

ومع هذه المأساة فلابد للشاعر الادق كما يرى شاعرنا – من أن يؤدى دوره فى الحياة بصدق ، وأن يتجاوب مع الواقع ويتفاعل مع الأحداث، وأن يدخل فى معترك الصراعات وخضم التحدى متسلحا بكلماته وأشعاره فهى زاده وعدته يقول الشاعر:

فالشاعر ياسيدتي:

فى أزمنة الجـــوع الكافر ... تطعمه كلمـــــــاته[2].

فى طغيان العصر الحجرى تجف الأنهار فتسقيه كلماته

حين يصير الموت هوية كل العالم يأسا تحييه كلماتــــه

ووظيفة الشاعر – أيضاً – فك الأحجبة التى تحجب أنوار الحرية وأشعة العدالة ، وهدم أسوار الظلم واليأس والجهل والتيه والضياع والخوف ، والبحث عن الخصب والخير والنماء . وقد أبان شاعرنا عن ذلك فى مقدمة بعض دواوينه وذلك فى قوله :

فـــك الأحجبة وهـــدم الأســـــوار

والبحث عن الخصب المتوارى خلف الأمطار

والتنقيب بصحــــراء النفس عـــن الآبار

وقـــراءة ما خلف الأعـــين مـــن أســـرار

والشاعر فى منظور شاعرنا رسول خير ، وسفير حب ، ورمز للطهر ، يترنم بالقيم ، ويشدو بالفضائل والمثل فهو دائما:

(1) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٢٠-٢١.
(2) المرايا وزهرة النار ، ص ١٧.

يشدو كعصفورة الجنان ما حملت
كرها وفى قيم الإنسان مغناه[1].
الحب قبلته . والطهر معبـــــده
والخير رائده . للحق مسعـــــاه

ثم ينطلق شاعرنا ليبين لنا بجلاء ووضوح رسالة ، وفى ظلال الإيمان له هدف وغاية . إنها رسالة الحب والطهر ، والحق والخير ، والعدل والعطاء ، والأمل الوضاء.

فليس الشاعر من يرقب الحياة من برجه العاجي ؟ وليس الشاعر من يعيش فى صومعته بمعزل عن الحياة ، غارقا فى بحار التوهم والتهويمات واللاخيال، وليس الشاعر من يأخذ ولايعطى ، وليس عالة على مجتمعه يسترفد رفده ويستمطر عطاياه بمديح كاذب أو ملق زائف . ولكنه العامل المنتج المعطاء المشارك لمجتمعه والمعبر عن خواطره ومشاعره ، إنه فأس تفلح الصحراء ونهر يتدفق بالعطاء ، وسيف فى وجوه الأعداء ، وقلب يخفق بالحب ويورق بالأمل . وفى هذا يقول شاعرنا « صابر » .

والشاعر عندك يامن جئت بملتك السمحاء[2].
حطاب يحمل فأســـــاً فى الصحــــراء
يجرى فيها الأنهار وينسج للعريان كســـاء
والشاعر سلطان يحمل فوق الظهر إلى الأطفال غذاء
سيف مسلـــــول فى وجـــــه الأعـــــداء
قلب بأذان الحق خفوق يورق بالأمل الوضــــــاء
والشاعر كون مفتوح .. ينبت فى خضرته البسطاء
والشاعر كنز نبوءات لايدركها إلا من يقتحم الأرجاء
الشاعر ظل نبى... هل يفهم هـــذا الشعــــراء؟
هـــل يفهـــم هـــذا الشعـــراء؟

(١) نبضات قلبين ، ص ١٣.
(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ٢٢.

وهكذا يحدد شاعرنا رسالة الشاعر ووظيفته فى الحياة . فهى رسالة تدور فى فلك الحب والحق والعطاء ، وتحلق فى أجواز الطهر والصفاء والنقاء

مذهب الشاعر الأدبى:

بعد أن عرضنا مفهوم الشعر عند شاعرنا « صابر عبدالدايم» ورسالة الشعراء نأتى إلى الحديث وبإيجاز عن مذهبه الشعري.

ونستطيع أن نقف على مذهب الشاعر الشعرى من خلال حديثنا السابق عن مفهومه للشعر وغايته ورسالة الشاعر ووظيفته ، فقد تقلب شاعرنا بين مذاهب الشعر المختلفة ، وكان لثقافته ومراحل تطورها أثر كبير فى هذا التقلب. فقد أثرت ثقافته العربية الأصيلة فى اتجاهه إلى عمودية القصيدة، فكان ديوانه الأول : نبضات قلبين « كلاسيكي الشكل ، رومانسى المضمون، ثم كانت دواوينه « المسافر فى سنبلات الزمن» ، « الحلم والسفر والتحول» و «المرايا وزهرة النار» مزيجا من الكلاسيكية والرومانسية والسريالية والواقعية والرمزية ثم يأتى ديوانه « مدائن الفجر» ليمثل المذهب الشعرى للشاعر بعد أن انهصر فى بوتقة المذاهب المختلفة ، وهو الواقعية المغلفة بالرمزية ، فى إطار المحافظة على عمودية القصيدة وإيقاعها العربى الأصيل.

المبحث الرابع

اتجاهاته الشعرية ومنابع التجربة فيها:

من خلال دراستنا لشعر الشاعر "صابر "عبدالدايم" وتتبع أشعاره فى دواوينه الشعرية نستطيع أن نقف على اتجاهاته الشعرية ، ومنابع التجربة فيها .

وسواء أكانت هذه الاتجاهات تقليدية أم تجديدية فإنها تنبع من معين واحد " هو الحب " الذى يمثل الرافد الرئيس لتجارب الشاعر الشعرية على تنوعها وتعدد ألوانها ، يدلنا على ذلك خلو شعره من " الهجاء " ، وإذا كان " ابن قتيبه" قد ذهب إلى أن الشعراء " فى الطبع مختلفون منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثى ويتعذر عليه الغزل[1]. فكل غرض شعرى بناء مستقل " وليس كل بان بضرب بانيا بغيره[2].

فإن الإنصاف يدعونا إلى القول بأن الشاعر " صابر" لم يكن ممن يعسر عليهم الهجاء ، فقد ذكر لى الشاعر أنه هجا وهو فى بدء حياته شخصا ما بقصيدة واحدة لم يقل غيرها ، ولم يصرح باسمه ، وحاولت من خلال الحديث معه أن أقف على ملامح هذا الشخص ، فعرفت أنه شيخ من شيوخه إبان دراسته فى المعهد الديني، وكان الشيخ قاسيا عليهم مما دفع بشاعرنا الطالب إلى هجائه ، ولما حاولت معرفة شيئ من هذه القصيدة منعه خلقه وطبعه من ذكر شئ منها ، وأظهر نسيانها وفاء منه لأساتذته وشيوخه.

فلم يكن شاعرنا " صابر " ممن يعسر عليهم الهجاء ، ولكن خلقه الحميد، وطبعه الكريم ، وأصالة محتده ، وثقافته الإسلامية ، وفهمه العميق

---

(١) ، (٢) الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ١٠٠.

وإدراكه التام لوظيفة الشعر وسمو رسالته قد دفعه إلى الإعراض عن الهجاء، وهو بذلك يضع لبنة فى صرح الشعر الإسلامى ، الذى يبنى ولايهدم، ويؤصل القيم النبيلة والمثل العليا فى عالم الفضائل والمثل .

لقد بدأ الشاعر " صابر " حياته الشعرية صادحا على أفنان الشعر التقليدى من مديح وغزل ورثاء ، وهو فى تقليده مجدد ، فلم يأخذ من التقليد إلا أبواب الشعر التقليدى ، أما تناوله لتلك الأغراض فقد كان جديدا ، وسنقف على ملامح هذا التجديد فى حديثنا عن الخصائص الفنية لشعره . ونتناول الآن الحديث - بإيجاز - عن اتجاهاته التقليدية.

١- المديح:

مما لاشك فيه أن المدحة الشعرية تتنوع حسب الغرض الذى يهدف إليه الشاعر أسلوبا ومضمونا ، فالمدحة النبوية تختلف فى أسلوبها ومضمونها عن المدائح الأخرى ، وهكذا مدائح الملوك ، والوزراء ، والأدباء ، والعلماء ، والأصدقاء ، والأوطان ، فلكل أسلوبها ومضمونها . وقد تنوعت المدحة الشعرية فى شعر شاعرنا " صابر " فكانت المدحة النبوية ، ومدح العلماء والأدباء.

وقد ترنم شاعرنا بمدح النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد أن فاضت مشاعره بحبه.

والمديح النبوى " لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع"[1]. لايلجه إلا من رزق حلاوة الحب ، وصفاء النفس ، ورهافة الحس ، وصدق الشعور ولذة الإيمان ، وبرد اليقين.

ومدائح شاعرنا النبوية تعبير صادق عن مشاعر صادقة ، نابعة من تجربة شعرية حية مؤثرة ، بعيدة عن التكلف والملق ، مجسدة لشوقه وحنينه

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى ، د/ زكى مبارك ، ص ١٤.

وحبه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك قوله فى مطلع قصيدته "صلوات فى معبد الشوق":

بقلبى من الأشواق ياخير مرسل .. لهيب به الأضلاع تكوى وتصطلي[1].

بصحراء أفكارى غدوت مشردا .. ولى من حماكم خير مأوى ومعقل

ظمئت وما أرواني الغيث كلــه .. فروحى هى الظمآى وقربك منهلي

وإن جل شوقى عن لسان يبينـه .. ففى القلب أقوال بلقياك تنجلـي

ويمزج شاعرنا بين مديحه وأنينه وشوقه وحنينه مزجا فنيا رائعاً فيقول:

سكبت دموعي والأسي لف مقلتـي .. وغابت نجوم الأفق عن ذي التأمل

أنيني يشق الصمت في ليل وحدتى .. ويسرى كأسراب الغمام المحمل

فلا الذكر يامختار يطفئ غلتـي .. ولاتنفع الذكري إذا لم توصـل

ويستمر الشاعر فى وصف انفعالاته النفسيه لبعده عن منابع النور فيقول:

هتافى من الأعماق مادمت نائيـا .. وماسفحت عينى دموع التذلل

وما ناح فى أيك الهوى قلب عاشق .. طواه الدجى حتى بليل التبتـل

غمست يراعى فى دموعى مسجلا .. تباريح شوقى للمنيـر المكمـل

وأرسلت آهاتى بدنيـا محبتى .. كإشعاع نور بالرضـاء مكلل

وشدوى إذا ماجن ليل وأشرقـت .. على الكون شمس بالصباح المجمل

تخذت هوى المختار يارب قبلتـي .. لغيره لم أصدح بلحـن وأهـدل.

ويعلن شاعرنا عن حبه للرسول، وهو حب ملك عليه حسه ومشاعره فيقول فى قصيدة « أبا الزهراء» ومطلعها:

أبا الزهراء قد رقصت بقلبـى .. مشاعر مالها عدد وحصر[2].

رسول الله حسبى منك حبـا ... وأني في مديحك مستمـر

بقلبى من هواكم نار شـوق .. ولكن مابها لفح ... وحـر

هواكم مثل روض عشت فيـه .. وعينى من نضارته تقـر

ويقول فى مطلع قصيدة أخري:

أحمل فى شريانى الحب ... أجئ إليك على استحياء[3].

---

(١) نبضات قلبين، ص ٢٥-٢٦.

(٢) نبضات قلبين، ص ٣٩-٤٠.

(٣) المرايا وزهرة النار، ص ٥٩.

ثم يبين الشاعر الإرهاصات التى سبقت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ويصف الحياة قبل مولده ومافيها من ظلم وضلال وكفر ومكر وذل وقتل، ثم يشيد بالدعوة المحمدية التى بددت ظلمات الكفر ، وأزاحت غيوم الظلم ، وبدلت حياة القهر والذل والرق والضعف والخوف إلى حياة العزة والحرية والقوة والعدالة والمساواة والهداية والأمان فيقول:

فجئت ونورك الأسنى مشــع .. وفوق ربوع مكة فاح عطــر[1].
فإذ بالكفر يوأد فى لحــود .. كعانسة بها خس وفجــــر
وإذ بالظلم يلحقه فنــــاء .. كما يفنى ظلام الليل .. فجــر
وأذن فجر عدلك فى البرايا .. فدينك مابه عبد .. وحــــر
بفئ ظلالكم قويت ضعــاف .. وقد يحلو مع الإنصاف مــــر
بكم ياخير من ولدت نســاء .. تحرر من بنى الإنسان فــكــر
وعاش أخو الهداية فى أمان .. ونــور العـــز فيه مستقـر

وفى قصيدة " أين الطريق إليك " يصور الشاعر المأساة التى تظلل واقع المسلمين المر ، الذى غابت فى متاهاته أضواء الهدى ، والقصيدة تمثل "الصراع الحاضر بين النزوع إلى تعميق التصورالإسلامى للحياة وحتمية وجوده ، وبين دواعى الإحباط التى تتألب على الإنسان المسلم المعاصر وهو يقبض على دينه كالقابض على الجمر ، وتهز واقع المسلمين بعنف حتى يفيق المسلمون من وهم آمالهم الكاذبة ، وحتى يثوروا على نفوسهم اليائسة التى استمرأت الظلام ، وكادت تقنع بالعزلة القاتلة" يقول شاعرنا:

أين الطريق إليك فى زمن تنــا .. فس كل مافيه لمحو خطاكــا[2].
لكنها فى الأرض أصــل ثابت .. وفروعها تتبوأ الأفلاكــــا
خطرت على السيف المشع محبة .. للعالمــين وقوضت أعداكــا
فإذا الحياة كما أردت حديقــة .. وثمارها غرس سقته يداكــا
وإذا العقول كما بنيت منــارة .. وإذا النفوس كما هويت فداكــا
تمضى القرون وأنت أنت محمــد .. تهب الوجود المز فيض شذاكــا

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٣٩.

(٢) قيلت هذه القصيدة فى المهرجان الشعرى الأول سنة ١٤٠٢ هـ ، الذى تقيمه كلية اللغة العربية بالزقازيق كل عام فى ذكرى مولد الرسول الكريم

ثم يبين الشاعر حال المسلمين المستمسكين بدينهم ومايواجهونه من تحديات وظلم وبغى وتشريد وإحراق فى عصر غيب فيه العقل الإسلامى ، ووئدت فيه قيم الإسلام ، واتهم فيه أهل الهداية بالجمود والتخلف ، فيقول:

ياواهب الأكوان خير رسالـــة .. إنا نعيش على صدى نجواكــا
السارقون النور من أرواحنــا .. ظنوا التقدم مدفعا فتاكيـــا
هبوا جياعا والعقيدة صيدهـــم .. هل ينصر الديان من عاداكا؟
قد تمهل الأقدار غرا حاقـــدا .. لكنها لاتنصر الإشراكـــا
إنا نسير على السيوف إليك فى .. عصر يُحرِّق من يروم هداكـــا

ثم يصف الشاعر ما أصاب المسلمين من فرقة وتمزق وخلف وشتات ، فضاعف مقدساتهم وأصبحوا نهبا للاستعمار فيقول :

ياأيها المسرى به للمسجـد ال .. أقصى أضاع خلافنا مسراكـا
كنت الإمام لكل صاحب دعـوة .. واليوم واقعنا يضل رؤاكـــا
خارت عزائمنا وغاض يقيننـــا .. وتشبعت أيامنـــا بسواكـــا
حتى فقدنا طعم كل حقيقـــة .. أمن اليسير اليوم أن ننساكا!!!
حتى غـدونا للذئـــاب فريسة .. والغاب شرعة كل من عاداكـا

ثم يذوب الشاعر حسرة لما حل بالأمة الإسلامة التى غابت شمسها ، وتوارى ظلها ، بعد أن كانت لاتغيب عنها الشمس فيقول:

أنظل فى قلب الجليد بلاهــدى .. يحيى موات قلوبنا لتراكـــا
فالحلم يسخر من تبلد روحنـــا .. والأمنيات أسيرة لرضاكـــا
فمتى رضاؤك عن بقايا أمـــة .. لم تستطع أن تستعيد ثراكـــا
غابت وراء الشمس وهى حسيرة .. لم تستجب فى بأسها لهداكـــا

وإلى جانب المدحة النبوية نجد مدح العلماء والأدباء ، وهو مدح ينم عن تجربة صادقة تفيض بالحب والإجلال لأساتذته العلماء والأدباء ، وهو فى مديحه لهم يبرز لنا أهم الصفات التى اتصفوا بها ، ففى مدحه لأستاذه الشيخ « عبدالعال أحمد عبدالعال» أستاذ الحديث الحديث فى جامعة

الأزهر، يشيد بعلمه، وفضله، وخلقه فيقول:

بدر منير في الورى لالاء ... عمت بعذب حديثك العلياء(١)

لكم من الأعماق ألف تحية ... تسري بها من عامك الأضواء

ياطيف رشد في الأنام ورحمة ... سارت على آثارك العظماء

لك في حياتك سنة وطريقة ... مامدح يوفي حقها وثناء

صلى فؤادك للوفاء وكان في ... ساحات هذا الطهر منك نداء

في الشرق طفت وفي المغارب شاديا ... فاستيقظت من جهلها الجهلاء

طيف الجلال عليك حام [illegible] ... والقلب طهر [illegible]

وفي قصيدة بعنوان "ولي الله" يمدح فيها العالم الشاعر الصوفي الزهد العارف بالله الشيخ "محمود أبو هاشم" صاحب ديوان "الهاشميات"، ومن شعره قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

عذرا رسول الله إن قصرت في ... وصف فإن جمالكم لن يوصفا(٢).

جاءت قديما ذرة من نوركم ... قد جمل الرحمن منها يوسفا!

والله لو جد العباقر كلهم ... في وصف أفضال له لن تعرفا!

والله لو كان البحار بجمعها ... كان المداد لوصفه أحمد ما كفى

والله لو قلم الزمان من البداية للنهاية ظل يكتب ما اكتفى!

والله لو قبر النبي تفجرت ... أنواره لا البدر ولى واختفى

تكفيه لقيا في السموات العلا ... وبحضرة الرب الجليل تشرفا

يكفيه أن البدر يخسف نوره ... لكن نور محمد لن يخسفا

وقد مدح شاعرنا فيه بلاغة وفصاحته وشاعريته، وروعة بيانه، وحلاوة منطقه، وسمو أدبه فيقول:

---

(١) [illegible] ص ٨٦ [illegible]

(٢) من قصيدة ألقاها الشيخ [illegible] ٢٠-١٤٠هـ وانظر كتاب "بينات" سلسلة كتب إسلامية عدد ٨٩ السنة الثامنة ٥ شعبان ١٣٨٨هـ - ٦ نوفمبر ١٩٦٨م، ص ١٩-٢٠

غدوت بعالم الأرواح تشـــــدو .. ونبض القلب يحضنه الصفاء[1].
ملأت الأرض من نظم القوافـــى .. فجاء لقلبنا منه .. الـــــدواء
ومن فمكم سرى : فى الأفق شعر .. فدثر كوننا منه .. الضيـــــاء
نثرت الهدى فى الأكوان: عطـرا .. فعم الحب وانتشر الإخـــــاء
حديثكم بقلب النـــــاس يســرى .. كما يسرى إلى الظمآن .. مـــاء
كلامكم غدا للناس سبـــــــلا .. وللرئتين صار هو .. الهـــــواء
وإن فقد الغذاء الجسم يبقـــى .. حديثكم إلى الروح .. الغـــذاء

ويصف الشاعر لنا هيئته وموكبه وبهاءه ووقاره – وقد كان – رحمه الله – جميل الهيئة ، حسن المنظر ، أبيض المحيا ، كأن النور يشع من جبينه يعلوه البهاء ، ويتوجه الوقار ، وفى هذا يقول الشاعر " صابر " :

أتانى طيفكم والليل .. ســاج .. يدثره .. من الله .. البهـــــاء
عليكم من جلال الله .. نـــور .. يسير بركبكم .. معنا اهتـــداء
كأنك هابط من فوق .. سبـــع .. به جادت إلى الأرض .. السماء
وهالات الوقار عليك ضــــاءت .. وعز القدر دام لك الكســـــاء

ثم يشيد بفضائله وسعيه فى قضاء حوائج الناس فيقول:

فكم فتحت أبوابا لخلـــــق .. من الآمال فاحتجب الشقاء
وكم شادت صروح العز ناس .. ولولاكم لما كان البنـــــــاء

وفى ذكرى " أحمد شوقى " أمير الشعراء يهدى الشاعر " صابر " إليه هدية شعرية فاضت بها مشاعره ، وفيها يشيد بشاعريته ، وعذوبة بيانه ، وروائع إسلامياته ، فيقول:

يابلبل الشرق يا ألحان شاديه .. ياضوء ناظره .. ياعز هانيه[2]
قلدت جيد المعالى عقد مفخرة .. كانت قوافيك من أبهى لآليـــه
ياغنوة الشرق إن طلت مباهجه .. يامشرق النور إن طالت لياليه
قد جل قدرك ياشوقى على كلم .. مهما يكن وبيان أنت ساقيـــة

إن قلب ماقلت من شعر ومن خطب .. فأنت منهل مارحنـــا نغنيـه

ولو نسجت ضياء الشمس ملحمـة .. ورائع الكون غناهـا وغاديـــه

وفاخر النجم نظمى فى نصاعتـه .. وعاد كالــــدر لألاء بمافيـــه

ماكنت بالمدح أوفي حقه أبـــداً .. فالمدح فى مثل شوقى غير كافيه

وكيف يمدح أشياع أميرهــــم .. وذابيا نهمو من صنع أيديـــه

يامنهلا كل من فى الكـون وارده .. لينهل الحب من أصفى مجانيـــه

كفى أمير القريض الحب جمعنـا .. وجمع الشعر أحبابا بناديـــه

والشاعر " صابر " فى أثناء مديحه لايبخل بالحكمة السامية ينثرها فى مدائحه ويبثها بين أبياتها ، ومن ذلك قوله :

ومن كانت له التقوى سبيلا .. سيغمره من الله الرضاء[٢]

وقوله :

ومن يشرب من الإيمان كأسا .. من الرحمن جاء إليه نهر[٣].

وقوله :

وإن سكن الهدى بقلوب قوم .. تناءى عنهم .. ذل وفقر

وقوله :

وما قلت مع التوحيد قوم .. وما كثرت مع الإشراك فجر

وقوله :

قد تهمل الأقدار غرا حاقدا .. لكنها لاتنصر الإشراكا

وقوله :

من يطلب المجد فى عز وعن ثقة .. أتاه طوعا وفى أبهى مغانيه[٥]

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٨٨.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٨٠-٨١.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٨٧.

(٤) نبضات قلبين ، ص ٣٩.

(٥) نبضات قلبين ، ص ٨٠.

وهكذا جاء مديح شاعرنا صادقا لاتكلف فيه ولاتملق ، فلم يعرف شاعرنا النفاق أو الرياء ، ولم يسف فى مديحه كغيره ممن يجرون وراء المال، ويتمدحون طلبا للنوال ، فما مدح إلا وفاء وحبا وصدقا:

وقفت بساحة العباد أشدو .. وحولى الطهر غرد والوفاء[1]

وما من أجل أغراض مديحى .. فمادام النفاق ولا الرياء

وإن بان التصنع فى لسانى .. فإن القلب مافيه افتراء

وقد جاءت مدائحه تجسيدا حيا لمشاعره وخواطره وانفعالاته النفسية ، ومتفقة فى نهجها وأسلوبها ومضمونها مع خصائص الممدوح وصفاته.

٢- الرثاء:-

من الاتجاهات التقليدية التى نظم فيها شاعرنا "الرثاء" وقد تعددت اتجاهات الرثاء فى شعر الشاعر "صابر" ويأتى فى مقدمتها رثاء الأهل ، وهو رثاء يفيض بالحزن، وينطق باللوعة ، وينبض بالشعور الصادق ، والعاطفة الحزينة ، والعبرات الدامية يقول شاعرنا فى وفاة عمه

"عمي" إليك من القلوب قصيدة .. أبياتها نسجت من الأحـــزان[2]

ومدادها الدمع الغزير ولا أرى .. غير الأسى يحبو على الأوزان

قد راعنى نبأ الوفاة وزادنـــي .. روعا تحقق ما رأى وجدانـــي

"عمي" رحلت إلى النعيم مكوما .. وتركتنى فى ليلى المدجـــــان

ثم يشير شاعرنا إلي مشاركة ظواهر الكون له في حزنه وأساه ، ولوعته وبكاه علها تخفف من وزنه وقسوة الزمان عليه فيقول :

فى كل ناحية أنوح محسرا .. والطير يأسى من نواح جناني

فيرق لى عطفا على مرددا .. لصدى النواح مشاركا أشجاني

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٨٨.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٦١-٦٢.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٦٤.

والنهر من دمعى تحول لونـــــه	..	حتى غدا بالدمع أحمر قـان
وأحست الأحياء فيه تغيـــــرا	..	فطفت عليه لرؤية الحيـــران
وإذا الروابى والطيور جميعــــا	..	والزرع والأشجار والثقــلان
يأتون فى جمع كبير حاشـــــد	..	ليخففوا من قسوة الأزمـــان
وهواتف الإيمان من عليائهــــا	..	قالت أفق من سكرة الأحـزان
أصبر فإن الصبر شيمة من دعا	..	لله بالحسنى وللإيمـــــــان
أصبر فإن الصابرين جزاؤهــم	..	يوفى بلاشرط من الرحمـــــن
أصبر لكى تدعى بحق صابـــرا	..	ولكى تفوز برحمة المنـــــان
فقضاء ربك لامحالة نافـــــذ	..	حتى على الأساد فى الغيلان

والقصيدة تنطق بالتفجع والتحسر ، وتنبئ عن الدوافع النفسية العميقة التى هزت الشاعر هزا ، وفارت بداخله ، فإذا به يتابع جيشان عواطفه بهذا الأسلوب الذى لجأ فيه إلى التكرار فى قوله : " اصبر " ، محاولا التجلد ، وهدهدة عواطفه المتدفقة ، وأنفاسه المتلاحقة .

ولشاعرنا فى رثاء أبيه قصيدة تعد من روائع رثاء الآباء فى أدبنا العربى وقبل أن نقف عندها أود أن أشير إلى أن شاعرنا قد نظم قبلها بيوم واحد قصيدة بعنوان " حبيبنا الوحيد " وهى ليست عمودية ، وفيها يقول :

أتبتر الرحلة يا أبى بسيف هذه النهاية[1] ؟
وهل هى النهاية التى تعود خيلها لساحة البداية ؟
وفى منارة القلوب ينبت الصبار يا أبى العزيز
والحزن قد عودنا لكثرة الأحزان
أن نشرب المر ولانبوح !!!
فحزننا كليلنا طويل
وقلبنا كخطونا نحيل
وزادنا من الشعور
لايقاوم الرحيل

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ١٠٩.

وهذه النفثات التى تسمى شعرا لايمكن أن ترقى إلى ماقاله الشاعر فى رثاء عمه ولعل الشاعر قد أدرك أن هذا اللون من التعبير قاصر عن تجسيد مشاعره الملتاعة ، وثورته النفسية العارمة ، ولايمكن أن يرقى إلى اللون التعبيرى الأصيل ذى الوزن والقافية ، والإيقاع المنظم الذى يؤدى دوره فى إبراز المعنى ونقل المشاعر عبر أثيره المؤثر فنظم قصيدة " العرس والدموع" التى يقول فى مطلعها[1]:

لسانى معقود .. وفكرى مبعثـــر .. وقلبى بالشكوى يئن ويزفـــر

وروحى بآفاق الأسى قد تطايرت .. كأشلاء آمال على النفس تخطر

وذاب كيانى فى جحيم تألمـــى .. فماعدت إلا بالنوائب أشعـــر

والقصيدة من بحر " الطويل " وهو بحر بطئ بطء الجنائز فى سيرها ، وفيه متسع للتأمل العميق ، واستيعاب مشاعر الشاعر وأشجانه وأحزانه ومآسيه ، وهى طويلة وتعد بحق نفثة شاعرية ودفقة شعورية صادرة عن عاطفة تجيش بالحزن، وصدر أصابه الكلم ، ونفس عمها الثكل ، وقلب أصابه القرح .

يقولون لى صبرا وإنى صابـــر .. وكيف على غدر المنية أصبـــر

ذوى غصن من كانت يداه حديقتى .. ومن كنت فى تحنانه أتعطـــر

ومن كان بستان الرجاء لخاطـرى .. بكل أمانى الروح والقلب يثمـــر

ومن كان فى درب الحياة منارتـــى .. ومنظار أحلامى الذى منه أنظر

ومن كان يشقى كى أنال سعادتـى .. ومن كان بالأحـــداث لايتأثــر

ويعبر الشاعر فى صدق عن لوعة الأسى ومرارة الحزن فيقول:

أبى والأسى شوك بجفن خواطرى .. وقلبى بالأشجان والحزن يقطر

أعض بنانى والمشاعر أحـــرقت .. وماعاد حرف فى شفاهى يذكر

وكم كنت أخشى أن يحين فراقنـا .. ولكنما الأقدار تنهى وتأمـــر

---

(1) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص٨٧ ، ومابعدها.

ولكنه الموت الذى يطيح بالنفوس، ويبطش بالكبير والصغير ، لايجدى ، معه دمع ، ولاينفع معه توسل ، ولايمنع منه استرحام .

هو الموت إعصار يطيـــح بأنفس .. على رغم أحزان من القلب تهـدر
وما الدمع يجدى بأبى وقت بطشه .. وما أنة الأطفال للموت تزجـــر
ولكنه أمــــر على الكـل نافـــذ .. وهل أحد فى الكائنات يعمــــر؟؟

ثم يخاطب الشاعر أباه خطابا ينم عن شدة الألم والمرارة والحزن الذى تأجج فى أحشائه وجوانحه فيقول:

رحلت وفى يوم الرحيل قلوبنـــا .. بنعشك كادت تستقر وتقبـــــر
ولو كان لى فى الأمر شئ لقيتنى .. مكانك لكن ذاك أمــــر مقـــدر

ويعدد الشاعر مآثره فى أسلوب مؤثر يوحى بأنات القلب، وزفرات الكبد فيقول:

حرمناك حصنا للمنى ياحبيبنـــا .. وماكنت عن تحقيقها تتأخــــر
حرمناك فى ضوء الصباح جليسنا .. وتصنع " شايا " بالحليب وتوثـر
حرمناك فى صفو المساء سميرنـا .. مع البدر والألغاز والحب نسهـر
وتحكى لنا ألفا من القصص الذى .. يروح عنا مانلاقى ونحـــــذر
وكنا إذا نمنا نـــراك ملاكنــــا .. فكم كنت للحلم المفزع تنهــر
وكم فوقنا شدت يداك غطاءنـــا .. ومن قلبك الدعوى لنا تتحـــدر
وكم ذقت حرمانا لنشرب سعدنـا .. وقد كنت بالحرمان لاتتذمـــــر
فقد عشت مثل الشمع نور حياتنا .. تدر لنا الحسنى وأنت تدمــــر
عبرنا على أكتافك الصعب والاسى .. أفى آخر المشوار ظلك يبتـــر؟
ففى القلب ماعشنا الحياة مــرارة .. وفى النفس ماطال البعاد تحسر

ألا ما أروح هذا الشعر وما أبلغه ، وما أجمل هذا التعبير الذى يصور خلجات النفس، ونبضات الحس ، وصدق العاطفة ، والمعانى التى تدور فى خلد كل إنسان ، حين تنزل بساحته بلية ، ويقسو عليه الزمان . ولك أن

تتخيل مايدور فى نفوس الأطفال وأذهانهم - حين يفقدون أباهم أو أمهم - من معان وتساؤلات ، وقد جسد شاعرنا هذه المعانى فى قوله :

وسافرت والأطفال تسأل فى أسى .. متى الجد يا أمى من السوق يحضر
لقد غاب عنا ماعهدنا غيابـــــه .. وقد عادنا شوق لحلواه مسكـــــر

ومن أجمل المعانى التى وقف عليها شاعرنا فى مرثيته هذه تلك المعانى التى أوردها شاعرنا فى تصويره لليلة الوداع ، تلك الليلة التى شهدت فى أولها عرس الابن وزفافه ، وما صاحب ذلك من فرح وسرور ، وشهدت فى آخرها بعد أن تم الزفاف - رحيل الأب وفراقه ، والناس كما هم شهود عرس وشهود مصاب، نقيضان تعانقا ، وضدان تآلفا ، فما أعظم الرزء ، وما أجل الخطب وفى هذا يقول شاعرنا:

كأنك فى يوم الوداع مناصـــــر .. لنا مثلما عشت الحياة تـــؤازر
كأنك والأقدر فى موكب الأســـى .. حبيبان لاسر لذلك يظهـــــــر
وإنا عهدنا الموت قصام أظهـــر .. فكيف رأينا الموت فيك يخيـــر
أأخرت ركب الموت وهو محــــدد .. لتشهد عرس الابن وهو يعطـــر
وصفقت للدنيا بحفل زفافـــــه .. وصفقت للأخرى لأنك تقبـــــر
نقيضان فى البيت الذى أنت نوره .. قد ائتلفا والناس للكل حضـــر

وتصل عاطفة الشاعر الملتاعة إلى الذروة وهو يمزج بين بكائه وأنينه ولوعته وأحزانه وبين مظاهر الطبيعة التى عزفت معه لحن البكاء على قيثارة الأحزان فيقول:

وتبكيك فى الحقل الخصيب سنابـل .. لكم كنت ترعاها فتنمو وتزهر
وأنت سواق كنت فى الليل خلهـــا .. وفيها خرير الماء ناى وكوثــر
هى الآن فى صمت فقد غاض ماؤها .. ومن قلبها دمع الأسى يتفجـــر

ثم يعرج شاعرنا على الدهر فيصف تقلباته وأحداثه المتوالية ، وولعه بالفتك بفرائسه فيقول:

وتغرس سكين الردى فى قلوبنـــا .. كأن دماء الناس عندك عنبـــر

وتضحك إن أنت ضحاياك ساخـرا .. وتشرب من عمر الحزانى وتسكـر

ويختم الشاعر مرثيته ختاما غير تقليدى مبينا أن الموت خير من حياة الذل والخضوع ، والقهر والأسر فيقول:

إذا كان فى الموت انطلاق فمرحبا .. به من حياة ليس فيها تحـــرر

ويحكمها القيد الذى صب نـــاره .. على كل قلب فى الحقيقة يبحر

والشاعر فى قصيدته هذه - كما تنطق أبياتها - عبر عن تجربة شعورية صادقة تفيض بالألم والحسرة ولوعة الجوى ولهيب الفراق ، والقصيدة فى مجملها تصوير حى لقلب حطمه الحزن ، وفؤاد مكلوم صدعته المحنة ، ونفس مفعمة بالآلام المضنية ، وعاطفة ملتاعة هدها الرزء ، وهزها الخطب ، واشتد بها الوجد ، وظللها البث ، وألهبها الأسى ، كما أنها نفثات حارة ، وعبرات مسفوحة نبعت من شعور حرقه الجوي، ووجدان يفيض بالألم، وقلب مزق شغافه ألم الفراق ، وقطع نياطه هول المصاب.

وقد أجاد الشاعر التعبير عن تجربته فالألفاظ موحية باكية ، والمعانى واضحة دامية ، والصورة ناطقة بالحزن ، باعثة على التحسر والبكاء ، والدفقات الشعورية دافقة ، المشاعر فياضة متلاحقة ، ويظهر ذلك جليا فى تكرار الشاعر لأوائل بعض الأبيات مثل : ومن كان - فقد تكررت فى ثلاثة أبيات، " حرمناك " فقد تكررت فى أربعة أبيات ، وتكرار - كم ، كأنك - وإذا كان ذلك ثقيلاً ، وكل مكرر تمجه الأسماع وتأنف منه الطباع فإن ذلك إنما يصدق على التكرار الذى يأتى عبثا ولايضيف جديدا ، فإذا أضاف جديدا وأدى دورا خرج عن ذلك كما نرى هنا فقد أدى التكرار مهمته فى إبراز المعنى وتأكيده واستقصائه وتوضيحه وتعميقة كما أدى دوره فى نمو البناء العاطفى ، وتجسيد حالته النفسية ، وقد أكثر الشاعر من استخدام الأفعال وتكثيفها وبخاصة الفعل المضارع الذى يفيد التجدد والاستمرار- ولا يكاد يخلو بيت من أبيات القصيدة من فعل ، وهو بذلك يشيع الحركة فى الأبيات

ويبعد بها عن الرتابة الباعثة على السآمة والملل.

وإذا كانت القصيدة قد حفلت بالمعانى العامة فقد حفلت أيضا بالمعانى الجيدة كتلك التى يصور فيها تواكب السرور والحزن ، وقسوة الدهر وشدته .

وإلى جانب رثاء الأهل يأتى رثاء العلماء وللشاعر أكثر من قصيدة فى رثاء ومواساة أساتذته ، ومن ذلك قوله فى رثاء أستاذه الشيخ " راتب الشواف" معددا مآثره وفضائله .

أين المنير وأضواء له سطعت ..	بين الأنام فأضحى الجهل عرفانا(١).
أين التقى وشمس العلم منه بدت ..	بين البرايا فبات الكل جذلانا
أين الرجاء إذا انشقت لنا حفر ..	من الضلالة والداعى لأحزانا
ياقلب عنك ولاتحزن فذا " قدر" ..	سهامه لم تدع ياقلب إنسانا

ثم يأتى رثاء الأبطال ، وللشاعر قصيدة فى رثاء البطل " سليمان خاطر" بعنوان "الشهيد"(٢). والشاعر فى مراثيه يعبر عن تجربة صادقة فى ألفاظ موحية ، وأساليب مؤثره ، ومعان واضحة بعيدة عن الغموض والتكلف، وصور مشعة مفجعة لا إغراق فيها ولاتصنع ، ويبين لنا فى وضوح وجلاء ، أهم خصائص المراثى الخاصة به.

٢- الغزل:

ولشاعرنا فى الغزل بدائع ولطائف تنم عن فلسفته فى الحب والجمال ، فليس الحب عنده ضربامن اللهو لعبث والمجون واللذات الموقتة - فالحب أسمى من الوقوف عند الصفات الجسدية والأوصاف الحسية - وإنما هو السعادة الأبدية.

لى من هواك سعادة أبدية ..	وسعادة الأحباب لاتنهار(٣).

(١) نبضات قلبين ، ص ٥٥.

(٢) المرايا وزهرة النار ، ص ٣٥ وسنتحدث عنها فى معرض حديثنا عن شعره الوطنى.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٤٤.

وفى سبيل هذه السعادة يستعذب المحب السهد والأرق ولهيب الجوى ونار الوجد .

مادهاني أني حرمت ولكن .. سرني السهد في اشتياقي إليك[1].

وإذا كانت دنيا الهوى شكوى وجوى ، وسهدا ونوى ، كما عبر شاعرنا عن ذلك في وصف تجربته في قوله .

هتف القلب بجنبي والجـوى	..	يملأ النفس لماذا .. ياتري[2]
يحجب الأحباب عن بعضهم	..	ولهيب البعد في الجسم سري
آه لو كنت معي في مخدعي	..	لرأيت النار تكوى أضلعي
حائر اللب شريدا فكـره	..	غير أيامك أمسى لايعي
يذرف الدمع من القلب ومـا	..	غيره يامنية القلب معي

فإن شاعرنا يرى في هذا السهد راحته ، وفي تذراف الدمع سعادته ، وفي لهيب البعد ريه ، وفي حيرة اللب هناءته ، وفي هذه الفلسفة يقول:

مهما تباعدنا وطال فراقنـا	..	وسرت له بين الضلوع النـار[3].
والسهد طال وفي فراشي أدمعي	..	سالت وهاج فؤادي التذكـار
ماكنت يوما في هواك معذبـا	..	كلا وغير هواك .. ما أختـار
بعد الأحبة ذاك سر لقائهم	..	لولاه لم يكن الحبيب يـزار
لولاه ماغدت القلوب رقيقـة	..	كلا وما أصغت لها الأسحـار

والحب طهر أزلي شاعت به الأقدار ، وبه تطول الأعمار

إنا تعانقنا قبيل وجودنـا	..	في عالم حاطت به الأسرار[4].
قد لف روحينا ونحن نسائم	..	حب وذا يحظى به الأطهـار
وهواك هذا لم تشأه قلوبنـا	..	لكنما شاءت به الأقـدار
فعلى هوانا ألف ألف سلامة	..	من أجله قد طالت الأعمـار

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٤٦.
(٢) نبضات قلبين ، ص ٤٥.
(٣) نبضات قلبين ، ص ٤٤.
(٤) نبضات قلبين ، ص ٤٤.

والحب عنده نور الجنان ، وباب الأمان ، وروض الجنان.

الآنى صرت أهوى والهوى نور الجنان[1].

ورأيت الحب غصنا فى رياض من حنان

مره فى القلب حلو بابه باب الأمان

أم سنا حبك لم يبغ سوى قلبى .. مكان .. ؟

أم هوانا قد غدا أكبر منا .. ! .. لست أدري

والحب عنده مسك يتأرج عرفه ، ويضوع عبيره ، وينشى الورى فوح شذاه.

فالحب كالمسك لم تحجبه أغطية .. والنفس من حبها فى خير مسعاها[2].

وعبير الحب يهدى للورى كل شذاه[3].

والحب عند شاعرنا " أنفاس الحياة .. إشعاع البراءة فى عيون الأطفال، بريق المنى فى خطى التائهين .. تفتح البراعم فى صباح وليد .. أنشودة الفجر تعانق إطلالة يوم جديد . الحب فى أولى سنواته..

نظرة فابتسامة فسلام.. فكلام فموعد فلقاء

الحب .. حين تنضج ثماره ، وتصفو ناره ، ويتحرر من قيود الزمن ، وتغدو سنوات الضوء ظله السابح فى المدارات الصافية ...

الحب حينذاك هو الكون الساكن روح الإنسان ، هو الوجود تجمع فى باقات الضوء ، وفى لوحة صدق تتراءى فيها كل الأزمان[4].

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٤٩.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٨٩.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٤٩.

(٤) جريدة الأنباء بالكويت سنة ١٩٨٨م.

وتتسع دائرة الحب عند شاعرنا "صابر" لتشمل حب الأم " وحب الأم تجربة قديمة فى الشعر العربى لأن الأم هى رمز الحنان ، ولايمكن إطلاقاً أن يتعارض حب الشاعر لحبيبته وحب الشاعر لأمه لأن كل نوع يختلف عن الآخر[1]. ولامجال للموازنة . فحب الأم أول ماغذى به الإنسان وسرى فى الوجدان ، وترنم به اللسان ، ومنه أحب الإنسان المرأة ، وبه عشقها ، فهو مصدر الحب ومنبعه ، ولاغرو ، فالأم ينبوع الحب الذى لاينضب معينه ، ووابل الحنان الذى لاينقطع صيبه.

وقد تفجرت ينابيع هذا الحب فى قصيدة " أماه " التى فاضت بها مشاعر الشاعر عندما علم بمرض أمه ، وقد استهلها بقوله:

أماه تاه عن الصواب بيانـــــى .. ماذا يخط إذن إليك بنانــــــي![2].

أماه عهدى بالبيان يطيعنـــــى .. مابالـه وقت المصاب عصانــــى !

أماه مالى عدت مثل رضيعـــة .. قد أفصحت بالدمـع لا التبيان!

أماه ماقلمى يسطر خاطـــرى .. كلا ولا حزنــــــى يبين لسانــــي

فالدمع يغنى عن مداد يراعتى .. ولسان صدقى حل فى وجدانــــي

والقصيدة تفيض بالمشاعر الصادقة ، والزفرات المتلاحقة ، والعواطف الجياشة بالآلام النابعة من أعماق النفس وأغوار الفؤاد ، والمنبثقة من حبه الكبير وتقديسه للأمومة بكل ماتحمله من معان ورموز .

ولما كانت المرأة كما عرفها شاعرنا " سكنا .. ظلا أخضر .. سحابة وعد .. حضنا دافئا فى ليالى الصقيع ، بستانا ناعم الصوت ، عاطر النبض ، فى ثماره طعم الحياة وإيناع الأضواء .. عشا ودودا تأوى إليه العصافير .... أما تنطفئ وهى تشعل المصابيح للبراعم .... شريكة عمر ،

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٩.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٥١.

وقرينة حياة ، أبصر لون الحياة فى عينيها .. تقدم لى العمر فى كلمة صادقة .. تكون فى الليل نجمة .. وفى الضوء زهرة .. تنسينى الجراح القديمة التى لم تغف بعد[1]. لما كانت كذلك فقد ترنم الشاعر بحبها، وترجم عن مشاعره نحوها ، وهى مشاعر تنبض بالصدق والنبل والوفاء

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨م.

المبحث الخامس

الاتجاهات التجديدية فى شعره

ونعنى بها التجديد فى موضوعات الشعر المستمدة من واقع الحياة والمستوحاة من أحداث العصر ، كتلك التى شارك بها فى الأحداث الوطنية ، وعالج فيها المشكلات الاجتماعية ، وتناول فيها القضايا الإسلامية ، وعبر فيها عن وجدانه الذاتى ، ونأتى إلى الحديث عن شعره الوطنى.

١- الاتجاه الوطنى:

لقد شاءت الأقدار أن يولد شاعرنا " صابر" فى عام ١٩٤٨م ذلك العام الذى شهد مأساة فلسطين الفادحة ، وسقوطها فى أيدى الصهيونية " فاقتطعت فلسطين العزيزة من جسم العروبة ، وفصلت عن العالم العربى ، واغتصبها اليهود ، ورفعوا العلم الصهيونى على ربوعها ، وشردوا شعبها عن دياره وجعلوه يهيم على وجهه فى الأرض يطارده البؤس ، ويلاحقه الشقاء ، ويتخطفه الردي"[١].

وماكان لشاعرنا – بعد أن شب عن الطوق ، وهو الذى تجرى فى شرايينه دماء الوطنية – أن يغض الطرف عن تلك المأساة التى جثمت على صدر الأمة الإسلامية ، فانطلقت أشعاره الوطنية هادرة مزمجرة ، تندد بالاستعمار وتدعو إلى الثأر ، وتثير الحمية العربية والإسلامية ، وتوقظ الهمم، وتحث على الإقدام من أجل الحرية والاستقلال . ومنها قوله:

يأسود العرب هيا للقـــــاء	..	فوراء الليل هالات الضيـــــاء[٢].
انظروا مجد الألى قد سطروا	..	صحف المجد وعاشوا فى إباء
سحقوا الظلم وشادوا عزهـــم	..	ولهم مدت أياديها السمـــــاء

---

(١) الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين ص ٣٩٩.

(٢) نبضات قلبين ، ص ١٥.

إن خسرنا اليوم شبرا فغـدا .. باتحاد الصف نجتاز الفضاء

فاجمعوا الشمل وهبوا للظفـر .. وسنجنى بعده غض الثمـر

ثم يعرج على " القدس " واصفا محنته ووقعها على نفسه فيقول:

هذه أنـات أرضى حائـره .. ودمائى فى عروقى ثائـره

وربوع القدس يكسوها الأسى .. وجراح السهم فينا غائـره

معبد الطهر ومحراب الصفـا .. ولغت فيه كلاب غـادره

ماعلينا أيهـا العـرب إذن .. غير أن نغدوا سيوفا بـاتره

إن نصرنا الله ينصرنا غـدا .. وعلى الباغى تدور الدائـرة

ويستحث الشاعر قومه على الثورة والزحف المقدس فيقول:[1].

أشعلوا الثورة وامضوا زاحفين .. نحو أمجاد الألى صانوا العرين

اقذفوا بالحـق صرحـا باطلا .. كى نري الباطل فى الرمـل دفين

من أيـاد زرع الشـوك بها .. أنقذوا القدس ومهـد المرسلين

دنسوا دعوة موسى فهمـو .. أذؤب الغدر السكـارى الماجنين

فارفعوا الحق على هام القنـا .. وازحفوا للقدس زحف الظافرين

ويقول فى قصيدة أخرى مستصرخا قومه للثأر من الأعداء:

هناك على ربا عكا ويافـا .. ينادينا من الإغفاد مجد[2].

لواء النصر فى حطين نـادى .. شباب العرب هيا واستعـدوا

وذودوا عن حمى الأوطان بأسا .. وغدر السالبين الحق .. ردوا

يهون الصعب عند رجوع حق .. وإن الحق مهما غاب يبـدو

وإن الثأر يغـلى فى عـروق .. تريد الموت أو لا تستبـد

وللأحـرار إن ثـاروا لهيب .. يذوق لظاه خصمهم الألـد

---

(١) نبضات قلبين ، ص ١٥.

(٢) نبضات قلبين ، ص ١٨.

ولما وقعت هزيمة يونيو ١٩٦٧م بأحداثها الدامية ، وفجائعها الحزينة ، ومرارتها القاسية ، انطلق شاعرنا انطلاقة الأسد من عرينه يزأر فى وجه الاحتلال ، ويهز النفوس ، ويلهب الوجدان بصواعق شعره النارية ، داعيا إلى الثأر والقصاص ، واسترداد الأرض العربية ، وقد جاءت قصائده مستمدة من وحى هذا الشعور الثائر ، وتلك الثورة الغائرة ، يدلنا على ذلك قصيدته "يوم الثأر" فقد فاضت بها مشاعر الشاعر لحظة مشاهدته لجنود الوطن وهم يحملون مدافعهم ، وقد أقلهم " القطار" إلى أرض المعركة فخاطبهم بقوله:

شباب العرب هيا واستعدوا	..	ليوم ليس من عمرى يعــد
ليوم الثأر من فئة تمـــادت	..	وأعمى قلبها صلف وحقد

وفى قصيدة " صوت العروبة " يحثهم على طرد اليأس وكسر القيد ومواصلة الزحف فيقول:

اطردوا اليأس فكم من فرحــة	..	أشرقت من بعد حزن و جـــراح[1]
واكسروا القيد وهدوا سجنكــم	..	إن أسمى العيش ذا عيش السراح
واحملوا القرآن فى القلب سنا	..	وعلى أيديكم يبدو البـــــــلاح
و"لسينا" و "فلسطين" ازحفــوا	..	زحفة النور إلى وجه الصبـــــــاح

وفى قصيدة " حان القصاص " يصور الشاعر آثار الاحتلال ، من أنين الأبرياء ودماء الشهداء ، وجراح الأمهات والآباء ، وعربدة الطغاة ، وتشويه وجه الحياة ، ثم يناجى الأنبياء – عليهم السلام – مناجاة تنم عن صرخة ثائرة وعاطفة مشبوبة تفيض بالثورة والغضب وروح الانتقام من العدو الغادر فيقول:[2].

---

(١) نبضات قلبين ، ص ١٦.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٢٧-٢٨-٢٩.

عيسى أما ترنوا فمهدك فى خطر

دامى الجبين وفيه أعداء البشـــر

نور الهدى فيه يئن ويحتضـــــر

والنار فى قلبى تفور وتستعـــــر

فمتى النهاية لليهـــــود

ومتى الخلاص من القيـــود

طه بمسراك الفضيلة تـــــــوأد

ظهر الحياة قد امتطاه المفســـد

مهد الوفاء وفاءه قد قيـــــدوا

وبقلبه سهم الهلاك مســـــدد

وبـــــدا بعينيه السؤال

أيعز فى الدنيا الضــــلال؟

فامسح تجاعيد الأسى من قلب حائر

وغدا .. ظلام الليل تسحقه البشائر

ثم يخاطب الشاعر قبلته الأولى " القدس " خطابا ملؤه الأمل ، فقد حان القصاص والخلاص.

ياقبلتى الأولى لقد حان القصاص

قد دق فى أرواحنا جرس الخلاص

لاترهبى صوت المدافع والرصاص

لاترهبي غدر العتاة فلامنـــــاص

إنا شربنا الثأر كأسا

لن تعرف الآمال يأسا

فغدا ترين الزحف كالبركان ثائر

يصلى العدو كأنه الإعصار هـادر

وتبلغ العاطفة ذروتها فيقسم الشاعر بكل ماهو عال ونفيس مؤكدا القسم بأنه سيعود إلى القدس الشريف بالنصر المؤزر فيقول:

إنى أعود مرددا فى كل سامـــــر[1]

مهد الطهارة .. والبراءة .. والمآثـر

بهواك .. بالأمجاد تنطق .. بالمفاخر

بسماك .. يزأر فى رباها كل ثائـر

بدم الشهيد يسيل فى سفح المجـازر

بالله يامهد الهدى والحق ظاهـــــر

سنعود بالنصر المؤزر

وهتافنا" الله أكبـــر"

لقد أحب شاعرنا وطنه حبا ملك عليه جسه وقلبه ، فالأرض والوطن كما يقول شاعرنا "بؤرة عالمى الشعرى حتى فى التجارب الذاتية .. يصبح الهاجس الذاتى دما فى شريان الأرض ، ووشما على صدر الوطن"[2].

الوطن الاسم الخالد للكلمـة[3]

والحب الوجه الصادق للكلمة

والأمل القلب النابض للكلمة

يفتديه الشاعر بنفسه حتى يحيا حرا كريما ، فالموت فى حبه حياة

لاعشت يابلدى .. إذا لم تحضنى قمر الخلاص وأنت حـــــرة[4]

فأنا كسرت الشرنقة . وتراقصى الإصرار فى أعماقى المتألقة

ووقفت كـــى أحيـــا على أوتـــار حبـــل المشنقـــة

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٢٩.

(٢) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨م.

(٣) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٧٦ . ٦٨ . ٦٢.

(٤) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٧٦ ، ٦٨ ، ٦٢.

وكثيراً ماتغنى الشاعر بحرية وطنه وفى ذلك يقول:

فرحت أمزق الأوهام حتى يبزغ الفجر[1].

ورحت أحطم الأسوار حتى يدفن الأسر

"فللحرية الحمراء" درب خطوه العمر

ومهما بعد شاعرنا عن وطنه فهو معه فى شريانه الدافق ، وقلبه الوامق يناديه ويناجيه من أعماقه " حيث الامتزاج والانصهار .. حيث يصير الاثنان الشاعر والوطن شيئا واحداً"[2]. يقول الشاعر:

وبعد زمان التغرب أرجع أحمل كل اشتياق السنين إليك

أنادى عليك[3]

وأنت بقلبى انطلاق الأمانـــــي

وأنت بأفقى ظل الزمـــــان

وأنت انتفاضة روحــــــي

وذاتى شمس تغرد فى شاطئيك

أنادى عليك

ولم يقف شاعرنا عند التغنى بحب الوطن ومناجاته فحسب ، ولكنه عبرعن أحداثه وقضاياه تعبيرا يدل على توهج العاطفة ، وصدق الانتماء ، وروح الوطنية الصادقة ، ففى قضية الشهيد " سليمان خاطر " ذلك البطل الذى هز استشهاده ضمير الأمة ، تتجلى وطنية شاعرنا حيث نظم قصيدته " الشهيد" فى الوقت الذى خرست فيه ألسنة الشعراء إلا ماندر - ويستهلها شاعرنا برسم " صورة للتأثير الخطير الذى أحدثه موت الحقائق التى توارت خلف ركام النسيان ، والتى كانت بحاجة إلى من يبعث فيها الحياة بعد مواتها"[4] فيقول:

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٧٦ ، ٦٨ ، ٦٢.

(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ١١٣ دراسة للديوان بقلم د.حسين على محمد.

(٣) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٤٥.

(٤) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد العاشر سنة ١٩٩٠م ص ٤٣٣-٤٣٤ دراسة لديوان المرايا وزهرة النار . بقلم د/ ناجى فؤاد بدوى.

أيها الطالع من أفق التوازيخ المجيده .. بوركت تلك الرصاصات العنيده[1]
إنها اجتاحت جدار اليـــأس فينـــا .. والإرادات البليــــــــــدة
أيقظت فينـــا شرايين التحـــــدى .. وأعادتنا إلى الأرض الجديـــده

ومازال شاعرنا - حتى كتابة هذا البحث - يواكب أحداث الوطن وقضايا أمته ، متأثرا بما يدور فيه من آلام ، وآمال ، ومعبرا عن مشاعره تجاهها أصدق تعبير ، ومصورا بعدسته اللاقطة واقع وطنه أبلغ تصوير ، وليس أدل على ذلك من قصيدته " غابة النار" التى صور فيها الاعتداء لغاشم من العراق على الكويت ، وهى تصوير حى لهذه المأساة التى حلت بالعالم العربى ، فبدلت زمنه خوفا ، ونعيمه جحيما ، وأنواره نارا ، وقد استهلها بقوله:

حديقة النـــــور أمست النــــــــار .. لاظل فيها ولاأطلال قيثـــــار!!![2]
شمس الحضارة فى أرجائها انطفأت .. وقصة البعث عادت بوح تذكار!!!

ويتساءل الشاعر فى حسرة وأسى عن أمجاد بغداد فيقول :

بغداد.. أين خطي" المنصور " مورقة .. بالمجد تسحق وجه الذل والعـــار؟؟
أين الرشيد .. وسيف العدل فى يده .. يرد " نقفور" عن أهلى وعن داري؟؟
أين المنارات .. والمأمون يشعلهـــا .. فكرا يفيض بجنات وأنهـــــار؟؟
وأين معتصم .. تختال قبضتـــــه .. بصارم من سيوف الله بتـــــار !!
لاعاصم اليوم من سيل الدمار سوى .. سفينة الحق تودى كل جبـــــــار
صوت الحياة يدوى فى دخائلنــــا .. الكوفة انتفضت تغتال أنصارى !!!
والبصرة انطلقت كالريح مرسلـــــة .. فى كل دائرة تجتث أشجــــارى !!!
ولم تزل فى دمى بغداد سابحـــــة .. وتشرب الدم من ينبوع أنــــوارى

(١) ديوان المرايا وزهرة النار ، ص ٣٥.
(٢) من قصيدة مخطوطة.

وهكذا تغنى شاعرنا لوطنه الأكبر " الوطن الإسلامى " ولوطنه الأم " مصر" وتجاوب مع آلامه وآماله ، ولم يأل جهدا فى توجيه النصح إليه ، وحثه على مواصلة الجهاد من أجل الحرية والتقدم ، ونبذ الخمول واستعادة أمجاد الأجداد واللحاق بركب الحضارة . وقد كان شعره الوطنى صدى لنبضات الوطن ومشاعره وزفراته وأناته وآهاته وأحلامه وأمانيه ، ولاغرو . فهو شعر ينبوعه الحب ، ومعينه صدق التجربة ، ودفوق العاطفة ، ورقة الإحساس.

٢- الاتجاه الاجتماعى:

مما لاشك فيه أن الشعر العالى الرفيع هو الذى يدل على بيئة الشاعر الاجتماعية والنفسية ، والشاعر الموهوب هو الذى لاينفصم عن وجدان مجتمعه وضميره ، فالشاعر هو " جهاز المجتمع الاستقبالى والإرسالى ، والشعراء مختلفون استقبالا تبعا لاختلافهم حساسية ، وإرسالا لتباينهم استقبالا"[1]. فالشاعر وشعره ابن شرعى لبيئته ، يتأثر بها ، ويتفاعل معها، ويؤثر فيها ، وماكان لشاعرنا " صابر" بما أوتى من رقة الإحساس والمشاعر - أن يعيش بمعزل عن بيئته ؟ أو يقف منها موقف المشاهد السلبى ؟ بل شارك فى أحداثها ، وتجاوب مع أصدائها ، وعبر عن معاناتها تعبيرا ينم عن صدق العاطفة ويقظة الشعور.

لقد نظر شاعرنا إلى مجتمعه فرأى الأدواء تنوشه من كل مكان ، وسهام الجهل والخمول والشتات والظلم والضياع والأمراض الخلقية تصوب صوب صدره ، فنهض يحارب أمراض المجتمع ، ويسدى إليه النصح ، واضعا يده على أسباب العلاج آخذا بناصيته إلى طريق العلم والعدل والحرية والتقدم ، وعالم الفضائل والمثل ، ودنيا الحب والطهر والوفاء.

---

(١) المجتمع فى شعر أحمد الزين - ص ١٧ للأستاذ / عبدالرحمن خليل إبراهيم .

فمن الأمراض الاجتماعية التى حاربها شاعرنا مرض دارت حوله معارك كبرى فى عصرنا الحديث، وقد وجد من يناصره ، ويدعو اليه ويرغب فيه من المستغربيين أذناب المستشرقين ، ومن يجابهه ويواجهه ويحاربه ويضرب على يديه من ذوى الفضيلة ودعاة الطهر والعفاف والقيم النبيلة . هذا المرض هو داء " السفور" لقد وقف شاعرنا من هذا الداء موقفا صلبا قويا فبين زيفه وآثاره السيئة والمدمرة ، وأضراره الفتاكه التى تفتك بالمجتمع وتهوى به إلى التهاوية ، فخاطب " حواء " قائلا:

حواء صونى حسنك الموهوبا .. ودعى الجمال الزائف المجلوبا[1].

حواء عودى للعفاف فقد غدا .. فيك الجمال مزيفا .. مكذوبا

ثم يبين لها أن الحسن ليس فى كشف المفاتن ، وتمايل الأرداف ، وتقصير الثوب وإطالة الكعب ، وانسدال الشعر ، وصبغ الوجه ، وتقليد الغرب، وخلع برقع الحياء ، ولكنه فى العفة وحسن الشمائل ، فيقول:

أظننت أن الحس كشف مفاتن .. يغرى نفوسا سحرها وقلوبا[2].

وتمايل الأرداف تحت خميلة .. قد زانها خد تضوع طيبا

حتى غدوت مع السفور كدمية .. وظننت أن الكشف ليس معيبا

لا .. لا فإن الحسن حسن شمائل .. وتعفف عما يكون مريبا

ويؤكد هذا المعنى فى أكثر من موضع فيقول:

ما الحسن حسن الوجه حتى تنزعى .. ثوب الحياء وتلبسى المثوبا

كلا وليس جمال لحظك أن يرى .. بالكحل مزدانا لنا ترغيبا

فالحسن ياحواء فى أرواحنا .. وشموسه لن تطفأن وتغيبا

ويوضح الشاعر لنا فلسفته فى الجمال فيقول:

ليس الجمال من الفتاة تمايلا .. كعرائس الحلوى يسر قلوبا

إن الجمال لفى النفوس نزاهة .. وسمو أخلاق يكون رقيبا

إن الجمال تعفف ماأسعد الـ .. قلب الذى فى ذا العفاف أذيبا

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٦٨.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٦٩ ، ومابعدها.

ويكشف الشاعر عن الوهم والخداع الذى غرقت فيه المرأة تحت مظلة السفور الخادع فيقول:

زمن السفور لقد تلاشى ظله .. ومضى كما يمضى الدخيل كئيبا
ماشمسه سطعت ولكن غرهـا .. برق الخداع وذا نراه كذوبـــا

ثم يأخذ بيدها إلى منابع الجمال الصافية ، ومناهل الحسن السامية فيقول:

حواء قد عدت السقيمة فاقصدى .. مهد الهداية إن أردت طبيبـــا
حواء هيا وانظرى بوداعـــة .. نحو المروءة إن أردت طبيبـــا
إن المروءة فى النفوس فضيلـــة .. طوبى لمن عرف المروءة طوبـــى
من كأس هدى محمد هيا ارشفى .. فالرشف منه ينضر المعطوبـــا
وتراجعى عما أحالك دميـــة .. وتسترى فالستر ليس معيبـــا
بشريعة الدين الحنيف تمسكـــى .. كى تأخذى من ذا الجمال نصيبـــا
وإلى جمال فى الحياة مخلـــد .. لايعرف العالى ولا المثقوبـــا
هيا وسيرى كالملاك وديعـــة .. والطهر يملأ بالصفاء قلوبـــا

وكما حمل شاعرنا على السفور حملته يشن على الجهل غارته ، فالجهل رأس كل فساد ، وأس التخلف والتأخر عن ركب الحضارة والتقدم ، فدعا شاعرنا إلى العلم مبينا فضله وشرفه وقيمته الحضارية فيقول:

فالعلم شريان الحياة يمدها .. بأشعة الإقدام وهو لبـــاب[1]
لولم يكن للعالمين تفاخـــر .. كان الفخار العلم والأنساب

وبين الشاعر أن " آدم " عليه السلام – مابلغ مابلغ من منزلة جعلت الملائكة تسجد له تشريفا إلا بالعلم فيقول:

ماصار آدم فى المكانة هذه .. يحبو له الإجلال والترحاب
إلا لأن العلم كان شعـــاره .. ياليت هذا للدنا أثـــواب

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٧٧.

ثم يوضح أثر العلم فى العقول والنفوس والأخلاق فيقول:

فالعلم نور فى العقول يضيئهـا .. والعقل من غير العلوم خـراب
والعلم يغرس فى النفوس شمائلا .. بفم الأنام رضا بهـا ينساب
إن لم تكن للعلم طيب خلائـق .. فالعلم فينا نقمة وعـذاب
بالعلم يبنى صرح كل حضـارة .. لبناتها الأرواح والألبـاب

ويشيد شاعرنا بدور الأزهر الشريف فى العلم ومحاربة الجهل ، فهو مثابة العلماء وقبلتهم ، فيقول:

من جوهر الإيمان شادك جوهـر .. فإذا يضوئك بالحقيقة ينطق[1].
شدوا الرحال وأنت قبلة عاشـق .. لنفائس العلم الفريدة يعشـق
عادوا .. وبرق العلم فى أيديهم .. والحق فى آفاقهم .. يترقـرق
فإذا الجهالات الكثيفة ترتمـى .. فى مغرب الآفاق وهى تمـزق
ومشى ضياؤك فى ظلام كياننـا .. فإذا الأمانى فى الحياة تحقـق
أعلامك الغر الميامين التقـوا .. فى ساحة .. العلم فيها الفيلـق

ثم يشيد الشاعر بدور الأزهر فى محاربة الاستعمار ، فمن صحنه تفجرت براكين الثورة على الطغاة والظلم والاستبداد ، وفى رحابه تخرج القادة الذين وقفوا فى وجه الغزاة ، وفوق مناراته ومآذنه ارتفعت أعلام الحرية.

هذى شمارك فى الورى حرية .. بيضاء فى فكر الوجود تحلق

والشاعر فى إشادته بالأزهر وأثره فى خدمة العلم والمجتمع يستحضر فى ذهنه ماضى الأزهر العريق ، وهيبته التى كانت تهتز لها صم الرواسى ، وحاضره الذى يستوجب الرثاء بعد أن تخلى عن الصدارة وأسلس لغيره القياد ، وخفت صوته وتوارت أنواره ، وقبع خلف غيوم الطمع فيقول:

---

(١) المرايا وزهرة النار ، ص ٧٧.

بيديك قد كانت مقاليد الأمـــو .. ر فأين منك اليوم هذا الرونـــق ؟
يصغى لك السلطان وهو متـــوج .. واليوم جيدك بالقيود مطـــوق !!!

قد كان تاجك فى الوجود حميـــة.. لله .. مادام الورى .. لاتخلـــق
أين الجلال اليوم ؟ أين أئمـــة .. من ضوْ مانطقوا .. أطل المشرق ؟
هل عاد صوتك فى الوجود بلاصدى .. هل غاب أم خلف المطامع يخنـــق؟

وكأنى بشاعرنا فى هذه الأبيات يرفع الصوت لإصلاح الأزهر حتى يستعيد مكانته وجلاله وهيبته ودوره الريادى فى مناحى الحياة الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية.

بيديك دفتها ومرفأ أمنها .. فاعبر فمثلك قائد لايسبق

وينظر شاعرنا إلى مجتمعه وقد دبت فى أوصاله روح الفرقة والانقسام والتمزق فيدعو إلى وحدة الصف ورأب الصدع والتئام الشمل فيقول:

اجمعوا الشمل وهبوا للظفر .. وازرعوا الزيتون فى قلب البشر[1]

وقد كرر شاعرنا الشطر الأول ثمانى مرات فى قصيدة واحدة، مما يدل على حرصه الشديد على جمع الشمل ووحدة الصف، ويدعو فى قصيدة أخرى إلى نبذ الخلاف قائلا:

هناك بساحة الإسراء نـــادى .. صلاح الدين فاصفوا واستعدوا[2]
دعانا أن أفيقوا من خـــلاف .. ومن ليل المنايا الصبح شـــدوا

ويعيب شاعرنا على قومه افتخارهم بآثار الفراعنة، والوقوف عند التغنى بها، دون أن يقدموا شيئا للإنسانية يكون محل فخار فيقول

ونفتح التاريخ قائلين .. منصتين .. غافلين ..[3]

---

(١) نبضات قلبين، ص ١٤.
(٢) نبضات قلبين، ص ٢٠.
(٣) المسافر فى سنبلات الزمن، ص ٨٢-٨٤-٨٥.

معجبين بالذى يقول إننا كانت لنا..كانت لنا..كانت لنا.....

لم نحى بعد رغـــم ماقالوه من سبعة آلاف عام
ولم نزل نجتر من فم الزمان قصة العـــــزاء
ورأس مالنـــــــا الهـــــــــــراء
ننام فى تابوتنا الحجرى نلهو بالرسوم الزائفـة
وخمرة المجـــد العتيقـــة المـــــذاق
وقد تداخلت لدينا كل ألوان الحيـاة !!
وأثمر الجبن بداخل الجميع حنظـــلا
لم تبد فى العين سوى بلاهة المفاجـأة
وقصـــــة الضيـــــاع والعـبث
وصورة الجلاد والخوف الرهيب والممالأة
ونغمة التكرار والرتابة المحطمـــــة
وزيف أحلام الضعاف والوعود المسكـرة

ويشن شاعرنا هجومه على النفاق الاجتماعى بكل ألوانه وبخاصة عبارة "كله تمام" ، مبينا آثاره الوخيمة فنظم قصيدة بعنوان : "آمين" وفيها يقول:

من كل فم محشو بعبـــارات التزيـــف[1].
وضمير مسجون فى سجن التحريـــــف
وفـؤاد يلعق وجــــه الطيـــــن
تسقط كلمــــــة آمـــــين
لفظا شوه صورة هذا العصـــر
جعل الناس تماثيل نفـــاق
والقيم بضاعات فى الأسواق

وبعد أن عدد الشاعر آثار كلمة " آمين " الضارة يختم قصيدته بقوله:

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٨٥ ، ومابعدها.

فإن آمين لم تنصف مهانينـــــا

وإن آمين لم ترشد مجانينـــــا

وإن آمين لم تنصب موازينـــا

بل إنها قصة تحكى مآسينا

آمين .. آمين .. لا

سحقا لآمينا

ويقول فى قصيدة أخرى مبينا آثار النفاق السيئة ، ومايترتب عليه من ضياع القيم ، وتبدل الأوضاع ، وتداخل الأشياء ، وتسميتها بغير أسمائها فيقول:

ولاتسألينى .. لماذا انصهرت بنار الشموس[1].

فقـــــد علمتنـــى دروبـــــــك ..

أن الخديعـــة لـب الذكــــــاء

وأن التحايل ظـــــل الثــــراء

وأن التسلـط حصن الإبــــاء

وأن المـــروءة أفـــق الغبــــناء

وأن التكاشف طفـــل الهبـــاء

وأن القـــوى الذى يتخطى الرقــاب

وأن الشريف الـــذى فى يديه الحـــراب

وهكذا كان شعر شاعرنا الاجتماعى ثورة على فساد المجتمع ، وتصويرا لأدوائه، ودعوة إلى سبل الإصلاح ، والأخذ بأسباب الرقي والتقدم. وهو شعريفيض بالشعور الصادق ، والتجربة الحية النابعة من حب الشاعر لمجتمعه وحرصه على نهضته وتقدمه ورقيه.

---

(١) المرايا وزهرة النار ، ص ٢٨-٢٩.

٣- الاتجاه الوجداني:

ونعنى به الشعرالذى يعبر فيه الشاعر عن خلجات نفسه ، وأحاسيس قلبه ، ونبضات مشاعره ، والترجمة عن ذاته وحالاته الوجدانية وتجاربه الذاتية، وماينطبع فى نفسه من مشاهد الطبيعة والحياة.

ونستطيع أن نلمح هذا التيار الوجدانى فى شعر شاعرنا التقليدي، ففى مدائحه نرى هذا التيار الوجدانى المتدفق ، فهو لايقف عند صفات الممدوح وتعداد فضائله ، بل يبين لنا مشاعره المضطردة ، ويرصد لنا تجربته النفسية ، وإحساسه الداخلى تجاه الممدوح ، ومن ذلك قوله فى المديح النبوي:

بقلبى من الأشواق ياخير مرسـل .. لهيب به الأضطلاع تكوى وتصطلي[1]

بصحراء أفكارى غدوت مشـردا .. ولى من حماكم خير مأوى ومعقـل

ظمئت وما أروانى الغيث كلـه .. فروحى هى الظمأى وقربك منهلـي

سكبت دموعى والأسى لف مقلتـى .. وغابت نجوم الأفق عن ذى التأمـل

أنينى يشق الصمت فى ليل وحدتى .. ويسرى كأسراب الغمام المحمـل

فالشاعر هنا يستجلى نفسه ويصور لنا أشجانها وأشواقها ووقع الذكرى عليها.

وفى شعره الغزلى لايقف عند الوصف الحسى للمرأة ولكنه يصور لنا دقائق نفسه الوالهة ، وما يمور به وجدانه من حرقة الهوى ولوعة النوي.

كيف ياقلب لها تبدى الهـوى .. وبك ازداد الأسى بعد النـوى[2].

شاءت الأقدار بالحب ولـم .. تعطنى منه سوى نار الجـوي

مالها يروى لسانى إنمـا .. دمع عينى عن لظى الوجد روي

أثمار الحب شكوى وجفـا .. ليت قلبى مارآهـا فهـوي

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٢٥.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٤٥.

وفى مراثيه تستوقفنا مرثيته لأبيه ، فقد صور الشاعر فيها أثر الفجيعة على نفسه ومدى حزنه لفقد والده ، كما رسم لنا صورة حية للصلات التى ربطت بينه وبين أبيه تصويرا يثير الأسى ، فقد كان للشاعر مصدر حنانه، وبستان رجائه ، ومنارة حياته ، ومنبع سعادته :

ذوى غصن من كانت يداه حديقتى .. ومن كنت فى تحنانه أتعطــــر[1]

ومن كان بستان الرجاء لخاطــرى .. بكل أمانى الروح والقلب يثمـر

ومن كان فى درب الحياة منارتــى .. ومنظار أحلامى الذى منه أنظـر

ومن كان يشقى كى أنال سعادتــى .. ومن كان بالأحداث لايتأثــــــر

قضى عمره كالشمس يقطع رحلــة .. من الشرق حتى الغرب وهو منور

ثم ينتقل الشاعر من التعبير عن الوجدان الفردى إلى التعبير عن الوجدان الجماعى مبينا الصلات التى كانت تربط بين الأب وأبنائه جميعا ، وهى توحى بمدى عطفه عليهم ، ورعايته لهم ، وتمثلها الأبيات من قوله:

حرمناك فى عصف الشدائد روحنا .. على قلبنا ظل السلامة تنثر

إلى قوله

عبرنا على أكتافك الصعب والأسى ..أفى آخر المشوار ظلك يبتر؟

ثم يكشف الشاعر عن الجوانب النفسية لأبيه ومساندته لأبنائه حتى آخر لحظة من حياته فى صورة تدعو للحزن والأسى وذلك فى قوله:

كأنك فى يوم الوداع مناصــر .. لنا مثلما عشت الحياة تــؤازر

كأنك والأقدر فى موكب الأسى .. حبيبان لاسر لذلك يظهــــــــر

وإنا عهدنا الموت قصام أظهـر .. فكيف رأينا الموت فيك يخيــر

أأخرت ركب الموت وهو محــدد .. لتشهد عرس الابن وهو يعطــر

ويعرج شاعرنا على ذاته ثانية يصور وجدانه الدافق بالأسى والمفعم بالحزن وذلك فى قوله :

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٨٨.

وبين تروس الواقع المر يا أبـى .. تئن أحاسيس وقلبى يعصـر
ويجتاحنى إعصار يأس مـدمر .. إذا راح فكرى فى لهيبك يحشر
ضباب من الأوهام يحجب رؤيتى .. ولست لوهمى أو عذابى أفسر
على جمر آلامى تقلب خاطـرى .. وزادى شوك الصبر لو كنت أصبر

ويحاول الشاعر أن يهرب من أشجانه وأحزانه إلى الطبيعة من حوله يبثها لوعته وبكاه ودمعته وأساه ، ومنها يقف شاعرنا أمام الموت الذى كنى عنه باسم الدهر – متأملاً مايدبره للإنسان ، ومايفعله به وذلك فى قوله:

أخاطب دهرى والأمانى كسيـرة .. سيوفك مازالت بنـا تتنمـر
كأنك جبـار ونحـن رعيـة .. تدوم وتفنى رغم أنك تغـدر
وتغرس سكين الردى فى قلوبنـا .. كأن دماء الناس عندك عنبـر
وتضحك إن أنت ضحاياك ساخرا .. وتشرب من عمر الحزانى وتسكـر
وإن تعط سعدا فالشقاء لبابـه .. وإن تغرس الأفراح فالحزن تثمـر
خلاياك من ذوب التناقض كـونت .. فأنت على رغم الثبات تغيـر
فتزهر يوما فى القلوب وفجـاءة .. إذا سرها الإزهار ألقاك تقفـر
تيسر حينا فى الأمور فننتشـى .. ولكن مع التيسير ينمو التعسـر

ونستطيع أن نقف من خلال مراثيه على رؤيته الذاتية للموت وفلسفته فيه وذلك فى قوله :

هو الموت إعصار يطيح بأنفـس .. على رغم أحزان من القلب تهدر[1]
وما الدمع يجدى يأبى وقت بطشه .. وما أنة الأطفال للموت تزجـر
ولكنه أمر على الكل نافـذ .. وهل أحد فى الكائنات يعمـر؟؟

وقوله:

فكل من عاش يحسو كأس موتته .. ومن يسر بحين يشق أحيانا[2]
يبدى الزمان أمورا كان يحجبها .. والحلو يعقبه مر ويغشانـا
رباه حكمك فينا حكم مقتـدر .. لانرد قضاء الله إن كانـا

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٨٩.
(٢) نبضات قلبين ص ٥٦

وقوله:

فنحن ودائع حفظت لحين .. وذى من شأنها أن تستردا[١].
وإن الموت غاية كل حـــى .. وما أحد بها قد نال خلـدا

وفى شعره الوطنى والاجتماعى نرى التيار الوجدانى يتدفق تدفق السيل فكم تغنى الشاعر لوطنه ومجتمعه ، وكم ارتبط وجدانه بأحداثه ، وانفعلت مشاعره بآلامه وآماله وهمومه ، وكم اهتزت تلك المشاعر ثورة على الفساد الاجتماعى والسياسى ، ودعوة إلى الإصلاح فى كل مجال وسمو فى تعبيره عن وجدانه ومشاعره تجاه وطنه ومجتمعه إنما يعبرعن وجدان الأمة وضمير الشعب[٢]. ، وتتسع دائرة الوجدان لدى الشاعر "صابر" لتشمل التعبير عن الوجدان الإنسانى فى كل مكان فنراه يتحرر من قيود الوطن ويشارك بوجدانه وجدان الإنسان فى أنحاء المعمورة ، ويتجلى هذا الوجدان الذى يمثل عواطف الشاعر الإنسانية فى قصيدته " عزف منفرد أمام مدخل القرن الواحد والعشرين" [٣]. وهى " محاكمة شعرية للقرن العشرين"[٤]. وهى صرخة فى سمع العالم كى يستيقظ وجدانه ليرى أوزار القرن العشرين ومآسيه المدمرة التى خلفها الاستعمار ، فى فيتنام الدامية الأجفان ، وفى هورشيما حيث الذر يفجر كل مكان ، وتسرى إشعاعاته فى أعماق الأرحام ، وفى كل مكان حيث التفرقة العنصرية والتعصب للجنس واللون ، وفى فلسطين الجريح حيث المأساة العربية والحق الضائع فى كل الساحات ، وفى عالم الزيف حيث الكل سواسية والكل هباء والأزهار تموت ويحيا شوك الصبار، وفيها يقول شاعرنا محاربا التفرقة العنصرية منتصرا لإنسان الحرية:

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٥٧.
(٢) راجع ما استشهدنا به فى معرض حديثناعن شعره الوطنى والاجتماعى.
(٣) الحلم والسفر والتحول ، ص ٦٥.
(٤) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨م.

من كـــــل مكـــــان فى العالـــم[1]

فرق بين الأبيض والأســـود والأصفـــر

هذا الوجه يطل كوجه الليل ضرير القسمات

موثـــــوق الفكـــر ومسلوب النظـــرات

يلمع فى عينيه بريق الثأر ونور الإصـــرار

يصرخ لكـن مـــن غيـــــر لســـــان

فعلـــــى شفتيه يقـــــوم السجـــان

يحبس فى ليل العسف تهاليل الوجـــدان

فلفات المظلومين إشـــــارات خرســـــاء

إن كنت الأسود .. هل أفكارى ســـــوداء؟

أو أنى من طين .. وسواى من الدر الـــلألاء؟

أو أنى تمثال .. وسـواى هـــم الأحيـــاء؟

أو أنى شـــوك .. وســـواى الأزهـــار؟

أو أنى سلـــــع .. وســـوى التجـــار؟

أو أنى لاشئ .. وسواى غدوا كل الأشيـــاء؟

والشاعر فى قصيدته هذه إنما يعبر عن تجربة إنسانية عامة تشمل بنى الإنسان فى كل زمان ومكان ، وهو بهذا يخرج بشاعريته من أفق ضيق إلى أفق رحب ، ومن التجربة الذاتية إلى التجربة الإنسانية النابعة من حب الشاعر للإنسان ومشاركته الوجدانية له ، وثورته على الفساد البشرى فى كل مكان.

كما نلمس هذا التيار الوجدانى فى شعره الذى تغنى فيه بالطبيعة وتجاوب فيه مع أصدائها ، وشاعرنا لم يقف عندالوصف المجرد للطبيعة ولكنه يراها من خلال نفسه ويرى نفسه من خلالها . ويخلع عليها همومه

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٧٠.

وآلامه ويمزج بينها وبين ذاته ومشاعره حتى يصبح هو وهي شيئا واحدا ، يخاطبها وتخاطبه ، ويرمز بصورها لحالات نفسه . فالشاعر حين يصور لنا حالة اليأس والقنوط التي أثقلت قلبه وخيمت على نفسه يرمز بالحقل المغطى بالجليد لقلبه المثقل بالقيد والحيرة فيقول:

ماتت قبل الغرس بذور سنابلنـــا[1]
إذ أعطوها مصل العقم وقالـــوا
حددنـــــا نســـل البـــذرة
فإذا الحقـل يغطيـه جليـــد..
ويغذيه خريف ويرويه جفـــاف
والوعد الذابل تقذفـــه الريـــح
يطيـــر ينقب عـــن ثمـــره
يقضي العمـر يفتش عـــن غصن
يتساءل وهو يصارع ساقية الريـــح
أين مكاني فوق الشجـــرة ؟
أين مكاني فوق الشجـــرة ؟

وتتأزم نفسية الشاعر وتصل إلى ذروتها حين ينظر إلى الواقع المر فيجد كل مافيه سرابا ووهما وخداعا وزيفا حتى أصبح لايدري مالون الصباح ولا المساء ولا السحاب ، فإذا به يخلع ماستبد به من يأس ، وماتملكه من حيرة وتوتر نفسي على مظاهر الطبيعة

فالصبح .. مرآة تكسر ضوءها فوق الهضـــاب[2].
والليل .. ناي شاحب الأنغام مشلول الربـــــاب
والأفق.. غابات من الأوهام تسكنها الرغـــــاب
وأنا الغريق .. وليس موج أو شراع أو سحاب !!!

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ١٢١.
(٢) المرايا وزهرة النار ، ص ٨٣-٨٤.

وفى غمرة اليأس يتطلع شاعرنا إلى ماينتشله من هوة اليأس السحيقة، هذا اليأس الذى ظلل المجتمع كله فراح يبحث عن الحقيقة الوحيدة التى تنقشع أمامها سحب اليأس هذه الحقيقة هى " الحرية" التى قطع من أجلها الف رحلة ورحلة بين الشروق والغروب.

أبحث عن حبيبتى .. ولايصدنى النصب[1]
فمـــن يحب يحتمـــل كـــل التعب
وزادى الغنـــــــــاء
فى مســـــرح الرجـــــاء
وفـــى مدينـــــــة الأدب
وأغنياتى ليس فيهـــا دندنـــة
فالنـــاى مكســور النغـــم
ورحلتـــى لاتنتهـــى
والبحث عن حبيبتى لـــم يلتئـــم
والأمـــل الظمآن لايرويه نبـــع
والمشعل الوسنان لايذكيه شمـــع
والعود لاصوت له إلا إذا المشوار تم

ويقلب الشاعر نظره فى أحضان الطبيعة عله يجد هذه الحبيبة ، وينظر إلى سمائه فيرى سحابة فيتخذ منها رمزا للحرية وينادى عليها :

تعالى .. فالقصائد أصبحت ثكلى .. ولاتجد الذى يعشـــق[2].
تعالى .. وانهلى ألحانها الثملى .. فقلبى كاد أن يختنـــق
تعالى .. يابكارة قلبى – المرأة .. والأحلام والمجداف والزورق
تعالى ....

إلى ذاتى أعيدينى .. وفى عينيك ألقيني
وبالأهداب غطينـى .. فقلبك فيه مرساتي

وصدرك فيه جناتى

تعالى .. فأنت عبير أتراحى .. وأنت لهيب أفراحي

وأنت سحابة الوعد

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٨٢-٨٣.
(٢) الحلم والسفر والتحول ، ص ١٠١-١٠٢.

وتمضى السحابة ومعها الحرية ، ويدرك الشاعر فى أسى أنها ومضة فى دوامة النسيان.

ويظل شاعرنا فى بحثه فتستوقفه شجرة ، فيتتبع تاريخها وقد توالت عليهاعوامل التعرية ولكنها ظلت تقاوم ظلم الريح ، ولهيب الصيف ، وثلوج الشتاء ، أملا فى عودة الخصب والنماء.

نيسان هل ولكن أنت عريانـــــــه .. وكم كساك خريف العمر أشجانـه[1]
وكم روتك الليالى وهى صافيــــة .. وكم سقتك لظاها وهـــى خوانـه
آه من الريح هبت وهــى حاقـــدة .. فسممت نهرك الصافى وشطآنـه
صالت عليك بألف من جوارحهـــا .. وحطمت من ربيع العمر أغصانـه
وجاءك الصيف والآفـــاق ظامئة .. وأنت عطشى ومن يسقيك تحنانـه
لكنما الصيف قد جفت بحيرتـــه .. والنهر قد هجر الغريد شطآنـه
وفوقك الطير لم يشرق له نغـــم .. وقبل . كم بث فى الأعماق تبيانـه
وقلت : قد تزهر الأعشاب ثانيـــة .. وعنك ينفض ليل العرى أكفانـه
وتخطرين بعمرى واحـــة ضحكت .. بها الفصول وناجى الحب رهبانـه
لكن أتاك - الشتاء - الوهم عاصفة .. من الجنون وآه أنت عريانـــه
صبت عليك الثلوج - النار- نقمتها .. والسحب أمست بسبل الجدب هتانـه
حتى غرقت بدنيا لاقـــرار لهـا .. وغاب نوح وصار الموت طوفانـه

والشجرة هنا رمز للحرية التى طال غيابها ، وأصبحت فى مهب الريح تتقاصفها الأنواء ، وترجمها الأعاصير ، أنواء الظلم والقهر والزيف ، وأعاصير البطش والاستبداد ، والوعود الكاذبة فى عالم التيه والضياع ، كما أنها رمز للوطن الذى سلب حريته ، والريح والصيف والخريف والشتاء رموز التآمر على الوطن وحريته

وشاعرنا هنا يرسم لنا صورة لذاته ، وأصداء نفسه وانطباعات حسه من خلال هذه المشاهد ، فليست الشجرة إلا رمزا للحرية التى تتوق إليها

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ١٠٧

ذاته وليست الريح وفصول الجدب إلا غيوم اليأس والقلق والحيرة التى استبدت بنفسه وحجبت عنها أضواء الحرية ، ولذلك رأينا شاعرنا يرمز لنفسه بالطير المحلق فى أجواء الحرية والشادى بها حبا ووفاء مهما تلبدت سماواتها وذلك فى قوله :

وفوقك الطير لم يشرق له نغـم .. وقبل كم بث فى الأعماق تبيانه
لكن بحضنك لم يبرح حديقتـه .. والحب فى فمه يستل أحزانـه
أطعمته من ثمار الدفء أطيبها .. فكيف يترك للإعصار بستانـه
باق على العهد لا الأنواء تفزعه .. ولا عواء الليالى وهى شيطانـه

وشاعرنا يحدوه الأمل فى بزوغ شمس الحرية والتظلل بظلها، فيخاطبها بقوله:

يـــاذات الظـــل الأخضـــر[1].
إن منعتنى من قطف ثمارك أسوار وحشيه
أو حجبتنى عن رؤية شمسك أستار وهميه
أو أخذتك بعيدا عن دربى أيد قدريـــه
لن أترك ظلك فهو حديقة تذكارى السحريه

ويستعذب الشاعر آلام الحرمان مادام الأمل باقيا:

فقد تهز جذور الجدب فى زمنـى .. عصا الكليم فتجرى فيه غدرانه[2]
وتتجلى من ثنايا النـار أغنية .. مزمار داود منها نـال ألحانـه
والثلج تنبت فى هدبيه زنبقـة .. بيضاء تنسى خليل الله نيرانـه
وفى ربيعك تجرى ألف ساقيـة .. وروحها بعبير الخير مزدانـة
ويبسم الصخر والصحراء عابسة .. والطفل يسقى من الينبوع أجفانه
وفى عيونك تخضر الحياة كمـا .. كانت ويحتضن الوجدان نيسانـه
وحول شطيك جمعت الرؤى ثمـرا .. ورحت أبذرها فى قلب إنسانـه

وهكذا أنس شاعرنا بالطبيعة ، وامتزج بها ، وتجاوب معها واندمج فى كيانها ومزج بين مشاعره ، وآلامه وآماله وبين مظاهرها من صيف وخريف وشتاء وربيع ، فى شعر يوحى بصدق التجربة ، ورقة المشاعر ، وعمق التأمل، ورحابة الخيال ، وفيض الوجدان .

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٢٤.

الفصل الثانى

الخصائص الفنية فى شعره

الخصائص الفنية فى شعره:

مما لاشك فيه أن أى فن من الفنون له خصائصه وسماته المميزة له عن غيره وقد يتفرد بهذه الخصائص ، وقد يشترك مع غيره فيها ، والأدب فن من الفنون " ومهما تقاربت الصلات بين أجناسه وأنواعه فستظل الحدود الفنية قائمة بينها .. والعمل الإبداعى فى جوهره رسالة يسر بها المبدع الى قرائه وحين يجمع المبدع كل عناصر التأثير ويوشى بها تلك الرسالة .. من إيقاع مؤثر ، ولغة إيحائية ، وخيال مثير ، وفكرة توقظ ماغفا فى إدراك المتلقى ، وتفتح أمامه دروبا من الافاق الشعورية، وتهز أحاسيسه،- حينذاك. يشعر المتلقى بالمتعة والفائدة[1].

ولشعر شاعرنا" صابر" خصائصه الفنية التى تمثل البناء الفنى فى شعره ، وأول مايلفت أنظارنا فى شعره هو مقدمات قصائده .

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨.

المبحث الأول

مقدمات قصائده

مما لا شك فيه أن المقدمة الشعرية لها صلة قوية وعلاقة وثيقة بموضوع القصيدة ، وكلما كانت المقدمة فى صلب مباشر كانت أوقع فى النفس ، وأروع فى الأداء، وبنظرة عامة فى شعر شاعرنا نستطيع أن نقول إن مقدمات قصائده تعد لونا من ألوان التجديد فى شعره فقد تخلى فيها شاعرنا عن المقدمات التقليدية حتى فى شعره التقليدى ، ففى شعره الغزلى – على سبيل المثال – تطالعنا قصائده ، بهذه المقدمات :

لسواك لم أنظر ولى إبصـار .. وعليك من بدر السماء أغار[1]

وأغار إن هبت عليك نسائم .. وتغردت بجمالك الأطيـــار

وفى مقدمة أخرى يقول:

ها أنا قد عدت ياروحى إليك .. وحياتى كلها ملك يديـــك[2]

وفؤادى قد رنا نحو سنـــا .. بسمة قد نبعت من شفتيك

وفى ثالثة يقول:

لست أدرى سر مايجتاحنى وقت اللقـــاء[3]

عندما تسعين نحوى كالأمانى فى صفاء

فالشاعر " صابر " فى مقدمات قصائده يدخل فى موضوعه مباشرة ، ونستطيع بكل وضوح أن نلمح من خلالها فكرة القصيدة وحالة الشاعر النفسية وقت نظمها . ومن مظاهر التجديد فيها – ايضا – أنها جاءت فى معظمها ساخنة تشد المتلقى ، وتضعه مباشرة فى قلب المعنى ، وتثير فيه الاستجابة الانفعالية ، وتؤهله لتلقى تلك الشحنة المتقدة فى نفس الشاعر ، وليس أدل على ذلك من قوله فى مطلع قصيدته " صوت العروبة "

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٤٤.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٤٥.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٤٨.

اجمعوا الشمل وهبوا للظفــر .. وازرعوا الزيتون فى قلب البشر[1]

وانثروا النور على وجه الدجى .. واغرسوا الورد بساحات القــدر

وقوله فى مطلع " التائه ":

فى دمى يغرق تاريخ بـــلادى[2]

فى دمى تحرق غابات عنـــادى

فى دمى تركض أشلاء جيـــادى

وقوله فى مطلع " الشهيد":

أيها الطالع من أفق التواريخ المجيدة[3]

بوركت تلك الرصاصات العنيـــــــدة

ومن مظاهر التجديد فى مقدمات قصائده تلك المقدمات التى استهلها بالقسم القرآنى كما فى قوله :

"والطور"[4]

" وكتاب مسطور"

"فى رق منشور"

"والبيت المعمور"

"والسقف المرفوع"

"والبحر المسجور"[5]

"والشعب المقهـــور"

"والقدس المشطـــور"

والأقصى المهجـــور"

قد جاء الأمر وفار التنور

والعالم يغرق فى الديجور

---

(١) نبضات قلبين ، ص ١٤.

(٢) المرايا وزهرة النار ، ص ٤٥.

(٣) المرايا وزهرة النار ، ص ٣٥.

(٤) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٣٨

(٥) الايات الست من مطلع سورة الطور.

وهو استهلال رائع يقرع الآذان بقوة ، ويهجم به الشاعر على السامع فيمتلك مشاعره ، ويوقظ فكره ، ويقدم له أدلة الدعوى مقدما ، فإذا ما أصغى إليه مرتقبا دعواه ، وصله بالقضية مباشرة فلايبقى مجال للإنكار أو التعجب.

ويكاد شاعرنا يتفرد بهذا اللون التجديدى فى مقدمات قصائده من بين أترابه من شعراء العصر الحديث.

المبحث الثانى

الألفاظ والتراكيب:

من نافلة القول أن نقول : إن اللفظ هو الوعاء والقالب الذى يصب الشاعر فيه معانيه ومشاعره ، وأن الشاعر الفذ هو الذى يختار بدقة بالغة ألفاظه لتوائم أفكاره وخواطره ، وتجسد إحساسه ومشاعره ، ولاشك فى أن ثقافة الشاعر لها أثرها فى ألفاظه وأساليبه ، وتميز لغته الشعرية عن لغة غيره من الشعراء ، وقد تركت ثقافة شاعرنا المتنوعة - وبخاصة العربية والإسلامية - بصماتها واضحة فى شعره فجاءت ألفاظه فى مجملها سهلة سمحة بعيدة عن الركاكة والغرابة خالية من الألفاظ المعجمية التى يستغلق معناها على العامة بله الخاصة ولا يعنى هذا السطحية فى الأسلوب " فما أسهل أن يكتب الإنسان مالا يفهم - تماما كما أنه على العكس لايوجد ماهو أصعب من أن يعبر الإنسان عن الأشياء العميقة بطريقة تجعل من المتعين أن يلم بها كل الناس ، وأن يدركوا معناها "[1]. فسهولة الأسلوب وسماحة اللفظ لاتعنى السطحية ، ولكنها " علامة الصدق وسمته وفوق ذلك تعد من ملامح النبوغ"[2] . ومما زادها سلاسة ووضوحا ، اتكاء الشاعر على المعجم القرآنى ، الذى انسابت ألفاظه فى شعره انسياب النسائم ، وترقرقت فى قصائده ترقرق الجداول ، وفيما ذكرناه من الشواهد فى معرض حديثنا عن ثقافته الإسلامية خير شاهد على ماذهبنا إليه ، وغناء عن تكراره هنا ، وظاهرة تطويع اللفظ القرآنى للتعبير عن معانى الشاعر ومشاعره بهذه العفوية والتلقائية والإنسيابية ظاهرة يتفرد بها شاعرنا، وهى خصيصة من خصائص ألفاظه المميزة ، وسمة من سمات التجديد فى شعره.

---

(١) فن الأدب ، من مختارات شوبنهاور ، ص ٦٨-٧١.

(٢) المرجع السابق.

ولشاعرنا "صابر" قدرة عجيبة على تطويع اللغة ، واختيار الألفاظ، وتأليف العبارات التى تشع بالمعانى . ويحسن وقعها فى النفوس . وقد جاءت ألفاظه مناسبة لمعانيه ، وتراكيبه موائمة لها وملازمة للموضوع الذى يتناوله ، ففى مدائحه ومراثيه - على سبيل المثال - جاءت ألفاظه متفقة وحالة الممدوح والمرثى ، والحالة النفسية للشاعر وكذلك فى غزله ووطنياته وتأملاته الذاتية، وقد أدى هذا التوافق الى وضوح المعانى فى كثير من شعره[1]. وليس أدل على ذلك من قوله:

ياقبلة الإنسان .. ياشرعة العدنـــــان[2]

قد هاجر السلام .. من أرضنا الحزينة

لم تدر أين راح .. وغادر المدينــــة

وأصبح السلاح .. يفجر الضغينــــة

والأنف فى الرغام .. لنكبة مهينـــــة

كما جاءت ألفاظه فى كثير من قصائده موحية بالجو النفسى للشاعر، ففى رثائه نجد الألفاظ الباكية الدامية التى تشعر بالجو النفسى الحزين للشاعر مثل : الأسى الأنين - النوائب - الأشجان - الدمع - الحسرة - المرارة - موكب الأسى - دمع الأسى - سكين الردى - النواح - سكرة الأحزان .. وكلها ألفاظ تشعر بجو الحزن وتوحى بالحسرة والأسى الذى خيم على نفس الشاعر.

وفى وطنياته نجد الألفاظ الثورية والنارية التى توحى بثورة الانفعالات النفسية التى تأججت بها مشاعر الشاعر مثل : أسود العرب - سحقوا الظلم - هبوا للظفر - دمائى ثائرة - سيوفا باترة - أشعلوا الثورة - اقذفوا بالحق - انقذوا القدس - ازحفوا - ذودوا - الثأر يغلى فى عروقى

---

(١) أنظر الشواهد الشعرية السابقة.

(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٥٥.

– النار فى قلبى تفور وتستعر – وغيرها من الألفاظ التى تجسد لنا انفعالات الشاعر وحالته النفسية ، وجذوة الثورة المتأجحة فى عروقه.

وقد تكررت معظم هذه الألفاظ فى القصيدة الواحدة ، وقد يتكرر البيت أو شطره أكثر من مرة ، وهو تكرار فنى أدى وظيفته فى تأكيد المعنى ، ونمو البناء العاطفى ، والتوازن الإيقاعى ، والمقاربة بين القصيدة والأغنية ، حتى يسهل على المتلقى حفظها وإنشادها ، وقد يختم الشاعر بعض قصائده بأبيات وردت فيها[1] وكأنه يريد " بهذه الأبيات أن تكون بمثابة مايسمى " بيت القصيد" حيث يكمن فحوى القصيدة وتتركز بؤرة انفعال الشاعر التى يريد أن يدفع بها الى حساسية القارئ"[2].

وقد أجاد شاعرنا توظيف الإيحاء اللفظى لخدمة أفكاره ومايختلج فى نفسه واستمالة المتلقى الى الإصغاء ، والنفاذ الى أعماق نفسه ، وأغوار حسه ، وذلك من خلال تشكيلاته اللغوية ،وتراكيبه الفنية ، والتنويع البنائى فى هندسة العبارة وإعادة ترتيب البناء الداخلى للكلمة ، وليس أدل على ذلك من تطويع اللفظة القرآنية ومفردات التراث العربى والتاريخ الإسلامى بإيحاءاتها المتعددة ، ودلالاتها المتنوعة ، للترجمة عن تجربته الشعرية ، ويتجلى ذلك بوضوح تام فى دواوينه : الثانى ، والثالث ، والرابع – ومن ذلك قوله:

وعصا موسى لاتضرب أحجار الظلم ولاتغدو جسرا للشرفاء[3]
وسفينة نوح لاترسو فوق الجودى ولاتبصـــــــر وجه الميناء

وقوله :

قد عم طوفان الجهالة فاصنع الـ	..	فلك التى فى مده لاتغـــــرق[4]
تجرى .. وباسم الله مجريها ومر	..	ساها وليست من مغير تخرق
ريح الضلالة لاتهز مسارهـــــــا	..	فشراعها الإيمان لايتمـــزق

---

(١) أنظر قصائد : الأزهر والطوفان – الشهيد – الجبل – يابلبل الشرق.
(٢) المرايا وزهرة النار ، ص ١٣٢-١٣٣.
(٣) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٤١.
(٤) المرايا وزهرة النار ، ص ٧٨.

وقوله :

صبت عليك الثلوج–النار – نقمتها .. والسحب أمست بسيل الجدب هتانة[1]

حتى غرقت بدنيا لاقــــــرار لها .. وغاب نوح وصار الموت طوفانـــــه

فالشاعر هنا يوظف الألفاظ القرآنية التى وردت فى قصة " نوح " عليه السلام " – للتعبير عن الأوضاع الفاسدة فى عالمه ومجتمعه ، والمفاسد التى يغرق فيها العالم ، وطوفان الظلم والبغى واليأس ، ودياجير التيه والضياع التى تغمر إنسان العصر.

وفى موضع آخر نرى الشاعر يطوع الألفاظ نفسها بحيث تعطى دلالات أخرى تشرق بالأمل والحرية والأمان وذلك فى قوله:

والشمس تجمع كل حقائبها .. ترحل عن زمن يضع أصابعه فى

أذنيه..[2]... ويخنـــــق أصـــــداء النـــــــور

تبحث عن وجه آخر للعالم لايتوارى خلف قناع وشرور

تركب فلك الإيمان وتعبر طوفان الديجـور

مجراها باسم الله ومرساهـــــــــــا

تصغى للصوت القادم من لدن الملأ الأعلى

"فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك"

"إلا من سبق عليه القـــــول"

فهو يجدف فى البحر المسجور

والربان السائر بالشمس يظلله البيت المعمور

تجتاز سفينته يم العصر وترسو فى جبل الطـور

وتشق تواريخ التيه ، وتشرق بالألحان بعين الأقصى المهجور

ويغيض الماء .. ويقضى الأمر .. ويلتئم القدس المشطـــــور

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ١١٠.

(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٤٣–٤٤.

وهكذا يتضح لنا أن وظيفة اللغة فى شعر الشاعر " صابر " لاتنحصر فى مدلولاها المعجمى أو تراكيبها التقليدية ، بل يعيد صياغتها وتشكيلها مع البعد عن تحطيمها ، والحرص على جعل الوظيفة النحوية ، والأساليب المتعددة ذات دلالة فنية فى الصياغة الشعرية ، فاللغة فى قصائده لغة إشارية إيحائية تحيل المعنى المجرد الى كائن مشاهد ، واللغة الموحية هى التى تشد القارئ ولاتتركه حتى يفرغ من القصيدة ، فإذا بكيانه يشرق بالمشاعر الجديدة ، والأحاسيس الصافية الغائرة[١].

وقد تنوعت الأساليب فى شعره فكثرت الأساليب الخطابية والصيغ الإنشائية التى وردت فى مقدمات بعض قصائده وتضاعيفها ، وقد قصد شاعرنا من استعمالها إثارة وجدان المخاطب وسمعه وتنبيهه الى ماسيلقى عليه ، والاستحواذ على مشاعره وجذب انتباهه ، ودفعه الى مشاركة الشاعر فى تساؤلاته وحيرته ، والتفكير معه فى البحث عن الإجابة ومن ذلك قوله:

نارك الخضراء يابن النيل هل تسقى خطانا اليابســـــات؟[٢]

هل بوادى عمرنا المجدب تجرى فيض آلاف العيون الجاريات؟

هل يفك القيد عن أعيننا؟ هل تركض الخيل وتغتال السبات؟

هل نرى الأشجار تمشى .. فوق صــــدر الراسيــــــات ؟

وإلى جانب الأساليب الإنشائية نجد الأسلوب الخبرى بأبعاده العميقة التى تدعو الى التأمل الدقيق فيما يحمله من معنى ومن ذلك قوله فى قصيدة" غابة النار" مستحضرا تاريخ " بغداد" المأساوى ومستئنسا به فى وصفه لبغداد الحاضر ، ومايستتبع هذه المقابلة من تأمل وتحسر :

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، ١٩٨٨ ، بتصرف يسير.

(٢) المرايا وزهرة النار ، ص ٣٨-٣٩.

دم الحسين .. دم التاريخ يغرقنـا ! .. والخائنون ارتدوا تاجا من القار ![1]

سقاهم الحب إيمانا ومرحمـــــة.. وهم سقوه لهيبا كافر النـــار !!!

في" كربلاء" جراح الحق نازفـــة .. وموجها اليوم عات مثل إعصـــار

"يزيد" يشرب " نخب" النصر منتشيا .. والأرض ملأى بآثام وأكـــدار!!!

رأس الحسين له كأس معتقـــة .. يلهو بها بين غلمان وسمـــار

يطل من شرفة التاريخ ممتشقـــا .. سيف التسلط في زهو وإكبـــار

والنفط بحر من الأوهام سجــره .. وراح يسبح في بركـــان دولار

وظن أن بروق المجــد عائـــدة. . تعطيه رايته في يوم "ذي قـــار"

وصار يشرب "كأس النفط" وهو على .. شفاغد من صخور الحلم منهـــار

وإلى جانب الصيغ الإنشائية والخبرية التي تنوعت في أسلوبه نجد الاقتباس من القرآن الكريم ، والتضمين لمعاني آياته وهو سمة بارزة من سمات ألفاظه ، كذلك اقتباسه وتضمينه لبعض الأبيات الشعرية ومن ذلك قوله:

من أين يمر الموتى الأحيـــاء؟ .. من هذا المنعطف المحموم المتمرد[2]

"تحل دماء المسلمين لديهـــم .. ويحرم طلع النخلة المتهـــدل"[3]

والبيت للكميت بن زيد الأسدي.

وقوله:

والأحياء الموتى من شرفة هذا البيت يطلون

"وبدا الصباح كأنه غرته .. وجه الخليفة حين يمتدح"[4]

والبيت للشاعر محمد بن وهيب:

وقد ذهب د. ناجي فؤاد الى أن الشاعر"صابر" لم يكن موفقا كل التوفيق في إقحام أبيات من الشعر لشعراء آخرين في ثنايا شعره ، وذلك

---

(١) الأبيات من قصيدة مخطوطة نشرت بجريدة الجمهورية١٩٩١ (٢) المسافر في سنبلات الزمن ، ص ٣٥.

(٣) هاشميات الكميت ، ص

(٤) زهر الآداب جـ ٢ ، ص ٩٥٨ تحقيق على محمد البيجاوي ط أولى سنة ١٩٥٣م.

لاختلاف الموسيقى الشعرية بين شعر الشاعر والأبيات التى أقحمت ، فضلا عن اختلاف الأسلوب الشعرى بين الشعر المجلوب وشعر الشاعر، والأهم من هذا وذاك أن الأبيات حين أقحمت أخلت بالترابط الفكرى للقصيدة[1].

وإذا كنا نتفق معه فيما ذهب إليه فإننا نرى أن هذا إنما يصدق على النماذج التى استشهد بها ، وليس على كل شعره وبخاصة العمودى منه ولك أن تقرأة قوله:

الهاربون من البركان يحرقهـــم .. قيظ المتاهات فى صحراء عشتار
هم استجاروا .. وكان التيه منجدهم .. فهل يظلون فى تيه بــلا دار !!!
"والمستجير بعمرو عند كربتـــه .. كالمستجير من الرمضاء بالنــار"

فقد جاء الاقتباس بالترابط الفكرى كما فى النموذج الأسبق الذى استشهدنا به ، ولكنه يفقد قيمته ، ويضعف معناه لفقدان التجانس الموسيقى بينه وبين ماقبله ومابعده في غير هذا النموذج فى بعض القصائد

والأهم من هذا وذاك أن ظاهرة الاقتباس والتضمين للشعر العمودى فيما يسمى بالشعر الحر دليل على عجز هذا اللون التعبيرى عن إبراز معانى الشاعر وجلائها بقوة، وهيمنة الشعر العمودى على هذا النمط اللاشعرى ، لما فيه من مقومات الإبداع وعناصر التأثير الأمر الذى ضمن له البقاء والخلود وهذا الظاهرة شهادة له بالقوة والأصالة التى يفتقدها ذلك النمط التعبيرى اللاشعرى واللانثرى.

هذا وقد جاءت ألفاظ الشاعر فى شعره فصيحة جارية على أساليب الفصاح من فحول الشعراء ، غير مسفة ولاركيكة ، مناسبة لمعانيه ، باستثناء بعض الألفاظ التى قصرت عن أداء المعنى كما فى قوله:

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ص ٤٣٧ العدد العاشر ١٩٩٠م.

رسول الورى بالله ياخير شافع .. لغيرك ما أشدو ولم أتقول[١].

فكلمة " أتقول" جاءت فى غير موضعها وأخلت بالمعنى ، فالتقول معناه الكذب، وفى لسان العرب : " تقول فلان على باطلا ، أى قال على مالم أكن قلت ، وكذب على ، ومنه قوله تعالى :"ولو تقول علينا بعض الأقاويل"[٢]. وقد قلبت هذه الكلمة المعنى من المديح الى الهجاء ، إذ المعنى معها ، لغيرك لم أشدو ولم أكذب ، ولك وحدك أشدو وأكذب.

وهذا بالطبع مالم يرده الشاعر ، ولكن كلمة " أتقول " أرادته وأدته .

ويمكن أن يكون المعنى مع أتقول : لم أكذب فى قولى : لغيرك ما أشدو ، ويمكن أن يكون : ولم أتقول فى شدوى لك ، والكلمة تتحمل هذا وذاك ، وإن كانت قلقة فى موضعها.

وأيضا قوله فى مدح " شوقى " أمير الشعراء:

وكيف يمدح أشياع أميرهم .. وذابيا نهمو من صنع أيديه[٣].

فكلمة "صنع" قصرت عن أداء المعنى ، ولو قال الشاعر : فيض. لكان أوفق وأقوى فى أداء المعنى لاسيما وقد وصفه في البيت الذى بعده بالمنهل فقال:

يامنهلا كل من فى الكون وارده .. لينهل الحب من أصفى مجانيه

فضلا عما توحيه كلمة "صنع" من بطء وتأن وتكلف ، وماتوحيه كلمة "فيض" من تدفق وانهمار.

وقوله :

ويبسم الصخر والصحراء عابسة .. والطفل يسقى من الينبوع أجفانه[٤]

ولو قال: " شريانه" بدلا من "أجفانه" لكان أوفق.

وقوله:

وحسبنا الموج السابح فى النشوة خمره[١]

فوددنا أن نغرق فيه وندرك سره

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٣٥.

(٢) لسان العرب جـ٥ ، ص ٣٧٧٩.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٨١.

(٤) الحلم والسفر والتحول ، ص ١١١.

ولو قال : "نسبح" بدلا من "نغرق" لكان أجود ، إذ أن الغريق لايدرك أسرارا ، فضلا عما توحيه كلمة "نغرق" من جو الكآبة والشجن ، وماتوحيه كلمة "نسبح" من نشوة وسعادة وسرور تتفق والمعنى العام للنص.

وقد وردت كلمة "والرياح" فى مواضع كثيرة من شعره فى غير موضعهاحيث استعملها الشاعر فى معنى " الريح " ولم ينظر الى عبقرية اللغة فى اختلاف الدلالة بين الكلمتين[2] كما فى قوله:

أيها البحر إن تحدثـك نفسى .. فحديث النفوس أشهى سمير[3]

إن يكن فى رياحك الهوج كبر .. فأنا نفسى كبرياء الدهـــور

إن يكن مخلب الريح قويـــا .. فبأفقى تطير كـــل النسور

وإلى جانب هذه الألفاظ التى لم يتحر الشاعر فيها الدقة ، جاءت بعض الألفاظ المستحدثة مثل كلمة : الأسفلت ، القطار .. فى قوله:

قلبى على الأسفلت يجرى .. والقطار يدوس ظل الواقفين[4]

وكلمة " المنيجيب " وهو مصطلح يطلق على ثياب المرأة الكاشفة لما فوق الركبة وذلك فى قوله :

إنا بعصر العلم لاعصر به الـ .. "مينجب" غدا إليك حبيبا[5]

وهى - وإن كانت قليلة - لاتغض من شاعرية الشاعر ، إذ أنه ليس من المعقول أن ينفصل الشاعر عن بيئته ، ويصم آذانه عما يشاع فى عصره من أدوات التعبير فاستعمال الألفاظ المستحدثة يحسب للشاعر لاعليه وإنما يؤاخذ الشاعر إذا أفرط فيها ، وأساء استخدامها.

أما الألفاظ التى قصرت عن أداء المعنى فهى هفوات لايسلم منها شاعر ولاتنتقص من شأنه ، فهى كالكلف فى وجه البدر إذا قيست بالنتاج الشعرى للشاعر.

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٤٢.

(٢) جريدة الندوه السعودية ، وجريدة المسائية السعودية سنة ١٩٨٧م - دراسة لقصيدة ثلاث أغنيات للشراع بقلم د/ فتحى أبو عيسى

(٣) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ١٠٤.

(٤) المرايا وزهرة النار ، ص ٢٠-٢٤.

(٥) نبضات قلبين ، ص ٧٠.

المبحث الثالث

القيم التصويرية :

مما لاشك فيه أن التصوير الفنى يعد من أهم العناصر التى ترتكز عليها القصيدة الشعرية ، فهو وسيلة الشاعر فى نقل مشاعره وأفكاره وتجاربه إلى الآخرين. وإثارة عواطفهم ومشاعرهم ونقلهم من عالمهم الحسى إلى عالم الشاعر الشعرى والشعورى حيث المتعة والجمال، ومشاركة الشاعر الوجدانية ، والوقوف على أسرار تجربته وتذوقها والإعجاب بها. ولن يستطيع الشاعر أن يجسم لنا مشاعره، ويبرز معانيه وخواطره، وينقل تجاربه إلا إذا كان خبيرا بأسرار اللغة، أخذاً بناصيتها ، فطنا الى ماتحمله ألفاظها من إشارات وإشعاعات ورموز وإيحاءات ، فضلا عن قوة الخيال التى تجعله قادرا على تأليف الصور، فتداعى له عناقيدها من غير عنت ولاتكلف ، وتحقق لشعره الروعة والتأثير .

ولشاعرنا "صابر" طاقة تصويرية عجيبة تعطى لصوره مذاقا خاصا وقدرة فائقة على نسج الألفاظ ذات الدلالات الجديدة ، والإيحاءات الكثيفة، وقد اسعفه قاموسه اللغوى على التأليف بين أجزاء لوحاته التصويرية والإبداع فيها، ولايخفى علينا ما للفظ من أثر فى الصورة فالصورة الفنية" رسم قوامه الكلمات" (١) والتشكيل بالصورة من أهم الوظائف اللغوية فى شعر شاعرنا "صابر" كما يقول عن نفسه(٢).

ونأتى إلى عالم الشاعر الشعرى الممتلئ بالصور ، المتألق بالجمال لنقف على ملامح الصورة فى شعره ، ومنابعها، ومدى تقليده وإبداعه فيها .

لقد تأثر شاعرنا بصور السابقين فجاءت متناثرة فى شعره ومنها صورة الليل وتشبيهه بموج البحر وذلك فى قوله :

---

(١) الصورة الشعرية ص ٢١ تأليف ص . دى لويس . ترجمة د. أحمد نصيف الجنابى وآخرون.
(٢) جريدة الأنباء الكويتية سنة ١٩٨٨م.

لست إلا البـــــرق .. إلا الرعــــد .. إلا السيف ..[1]

فى ليل كموج البحر يلقى زبد اليأس وحيتان الهموم !!!

وهى صورة مستوحاة من قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله .. على بأنواع الهموم ليبتلى

والشمس تغرب فى الدمـاء [2]

وتطل عين الكون من دمها

وقوله فى رسم صورة للكون وقت المساء وقد خيم عليه صمت الجنائز وهو فى ركب الفناء :

سكن الوجود سكون حزن إذكواه لظـــى الأرق [3]

فكأن سهم الصمت في قلب الوجود لقد مـــرق

وأرى السماءتضرمتبلهيب أصبـــــاغ الشفق

وأتى المساء وقد تردى الكـــون فى كفن الغسق

فكأن ثم جنـــازة والكـــون هـــذا قد نفـــق

وهى صورة مستوحاة من "المساء" لمطران.

"أما أكثر الصور شيوعا فهى التى يستمدها من القرآن الكريم" ومنها تصوير جبال الأحلام بالعهن المنفوش ، والناس بالفراش المبثوث ، وذلك فى قوله :

وجبال الأحلام تُسيَّر كالعهن المنفـــــوش

والناس من الفزع الأكبر مثل فراش مبثوث

كما استمد بعض صوره من الأساطير ومنها تصويره لرجال بنى أمية سماسرة الكلمات الذين رفعوا المصاحف فوق أسنة الرماح وتلونوا بكل الألوان - بالتنين وذلك فى قوله :

(1) المرايا وزهرة النار ، ص ٣٨

(2) المرايا وزهرة النار ، ص ٢٣.

(3) نبضات قلبين ، ص ٧٣.

يقفون كمثل التنين بسبعة أعنـــــاق[1]
ينفث سم الغدر ويوغل فى صفو الأحداق

وإذا كنا لم نر التنين إلا فى خيال القصص والروايات ، فإن استجلاب هذه الصورة يعين على توضيح الفكرة، وإثارة النفس ، وهى "وسيلة تفاهم روحى أوضح وأقوى من أى وسيلة أخرى"[2] وقد استطاع الشاعر من خلالها أن يرسم لنا واقع النفاق والرياء والغدر فى صورة كريهة منفرة .

وقد ارتبطت صور الشاعر بحسه وذاته ارتباطا وثيقا فجاءت ترجمة لذاته وتجسيدا لخواطره وأفكاره، فهو فى كثير من صوره يصور لنا نفسه فنراه المتكلم والمخاطب والغائب والحاضر، وليس أدل على ذلك من قوله :

تشدنى لمـــدار الجدى أسئلة	يشبها سرطان الحيـــرة الدامى
وتحتمى بأستواء الريح أشرعتــى	والموج يقـــذفنى أشــلاء أنسام
أدور منقسما فى غير دائرتـــى	ولست أبصــر إلا ظـــل آلامى
ودورة الزمن المنكوب تلقفنـــى	وإننى فى دجاها بعض أرقـــام
الأربعـــون توافينـــى ومابلغت	رؤاى مشرق أسفارى وأحلامـــى
صرخت أعلن أنـى جئت فابتسمت	أمى لصبح أتاهـــا جـد بسام
ويبصر الطفل فى العينين أوديـة	من الأمان وماناءت بأسقـــام
وحين ينشب فى الأيام رؤيتـــه	يرى مرايا المنى أوهام أقــلام

فالشاعر يرسم لنا صورة لوطنه الممزق من خلال تصويره لذاته ومشاعره وكأنه والوطن شئ واحد . ويمتزج صوت الأنا مع ال نحن ، وتتحد الصورة فيصبح الشاعر فردا وجمعا وذلك فى قوله :

فهل نعود كماكنـــا .. بنى رحـــم	نقضى على هاتف فى النفس قسام؟
نعود من غربـــة للتيه تطعمنـــا	تزود عن وطن فى فك إجـــــرام.
ترنو "لبدر" وفجر الحق فى "أحـــد"	تهفو إلى "أسد" للشرك قصـــام
فمن هناك تعود الآن قافلتـــــى	وتبصر الفجر فى آفـــاق إسلامـى

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٦١.
(٢) التفسير النفسى للأدب ، د. عزالدين إسماعيل ، ص ١١٠.

وكثيرا مايخاطب الشاعر نفسه فى صورة حوار يجريه مع شخص ما فيظهر مخاطبا لغيره وهو فى الحقيقة يخاطب نفسه فهو المتكلم والمخاطب فى الوقت نفسه ، وقصيدة "الطريق"[1] خير شاهد على ذلك .

وإذا كان للحالة النفسية والاجتماعية ظلالها على الصور المنثالة فى الخيال"[2] فإننا نستطيع أن نلحظ تلك الظلال فى صور شاعرنا "صابر" وبخاصة صور الاغتراب النفسى والزمانى والمكانى ، وذلك الاغتراب الناشئ عن الصراع الدائر بين واقع الشاعر وعالمه الوجدانى، والذى دفع بشاعرنا إلى السفر عبر أزمنة العصور وأمكنة التاريخ هربا من زمان القلق والنزق والجوع الكافر والتيه والضياع واختلال الموازين ووطأة المكان القاتل للأحلام، الخانق للأمانى ، وبحثا عن زمان ينسيه زمانه ، ويجد فيه أمنه وأمانه ، ومكان تتحقق فيه الرؤى وتحيا فيه الأحلام .

ولشاعرنا أكثر من مشهد شعرى يصور فيه هذه المشاعر ومن ذلك قوله :

"والليـــــل ومـــــا وســـــق "[3]
" والقمــــــــر إذا اتســـــق "
" إننــــــــى راكـــــب طبقـــا عن طبق "
"راحــــــل فى زمـــــان القلـــــق "
" قـــادم مـــــن عصـــــور النـــــزق "
"هابـــــط فى انحـــــدار الألــــــق "
" صاعــــــد فى إنطفــــاء الأفــــــق "
" ممتط صهـوة الشمس لـــــم أحتــــرق
" واحتراقى انطلاق من الأسر فى عالم يختنق
واتحادى مع الشمس عصــــر من الطهـــــر
يبــــزغ مــــن بشريـــــات الشفــــق

---

(١) المرايا وزهرة النار ، ص ٨٩.
(٢) معرفة الذات والآخر ، د. غسان يعقوب ، ص ٢١.
(٣) المرايا وزهرة النار ، ص ٢٧ ، ٢٨.

فالتناقض فى الشكل والمضمون بين الليل بإيحاءاته ، والقمر بإيماءاته وبين الرحيل ورموزه، والقدوم ومعطياته وبين الهبوط ودلالاته والصعود وإشاراته يبرز لنا حركة الصراع النفسى للشاعر، ويجسد لنا معاناته ومشاعره المضطربة بين واقعه المظلم وآماله المشرقة، ويعطى للشاعر الفرصة لتصوير معاناته على اختلاف روافدها وتعدد مستوياتها .

ومن الصور الرائعة الخصبة والمشعة فى شعره - أيضا - تصويره لنفسه خلال تصويره للطبيعة، وأنسنته لها أى إضفاء صفة الأحياء عليها - فرأيناها تحزن لحزنه ، وتبتهج لبهجته ، والحقيقة أنها أنعكاس لنفس الشاعر، يرى الشاعر ويصور لنا من خلالها نفسه، ونرى نحن نفس الشاعر من خلالها. فهو حين تخيم على نفسه الهموم، وتتلبد سماواتها باليأس والغيوم يجسد لنا هذا اليأس فى مشهد من مشاهد الطبيعة المحس بألوانه وأصواته وحركاته وظلاله، وقصيدته "ملامح من تاريخ شجرة" تعد رائعة من روائعه التصويرية"، ولوحا شعريا وشعوريا تماما ، يبدو فيه شاعرنا كالرسام الماهر والمصور البارع، الذى يؤلف بين الصور ، وينسق بين الألوان حتى تخرج الصورة فى حلة قشيبة تثير العواطف وتدعو إلى الدهشة والإعجاب . وقد بدأها الشاعر بقوله :

نيسان هل ولكن أنت عريانه	..	وكم كساك خريف العمر أشجانه[1]
وكم روتك الليالى وهى صافية	..	وكم سقتك لظاها وهى خوانه
آه من الريح هبت وهى حاقدة	..	فسمت نهرك الصافى وشطآنه
صالت عليك بألف من جوارحها	..	وحطمت من ربيع العمر أغصانه

والشجرة ههنا يمكن أن تكون رمزا لحرية الشاعر التائهة فى عالم الجدب والضياع، ويمكن أن تكون رمزا للوطن المستعبد المستذل المقهور، وهى مع هذا رمز لنفس الشاعر اليائسة ، وقد تعاونت أجزاء الصورة من

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ١٠٧ ومابعدها.

ألفاظ موحية وحركات وألوان ، وصور جزئية فى تآليف الصورة الكلية، ويبدو لنا إبداع الشاعر فى اختيار الألفاظ الموحية فى قوله : خريف - ريح - صيف - جفت بحيرته - إعصار - الشتاء - الثلوج - الجدب - الوهم - الطوفان - وهى مفردات تمثل عالم الجدب ، وتوحى باليأس والهموم النفسية للشاعر .

وتبدو لنا الأصوات فى قوله : تمضغين - انفجرت - إعصار - عاصفة - ناجى - عواء الليالى . وندرك الحركات فى قوله : صالت عليك - فياض بكوثره - تموج - تخطرين - ونرى الألوان فى قوله : لظاها - الأمنيات الصفر فى دمه - الضوْ - النار. وتطالعنا روعة الصور الجزيئة التى مزج فيها الشاعر بين الصور الحسية والمعنوية مزجا فنيا دقيقا فى كل بيت من أبيات القصيدة فالخريف يكسو والليالى تروى، وتسقى اللظى وتخون ، والريح تحقد وتصول، والشجرة تبتلع الوهم وتمضغ الجراح ، والظلال هيمانة ، والآفاق ظامئة، والاعصار يغضب والريح بنت الخريف ظالمة، وليل العرى ينفض أكفانه، والفصول تضحك، والحب يناجى، والليالى تعوى

وهكذا أبدع شاعرنا فى رسم هذه الصورة الكلية لتلك الشجرة التى كثيرا مانراها ولكنها لاتثير فينا شيئا يذكر، ولكن الشاعر رأى فيها نفسه فصورها من خلالها، "وهو لون من التفكير الحسى، فالشاعر حين يتعانق والطبيعة تخضع الطبيعة للتشكيل الحسى لديه ، وتخضع لفكرته فإذا هى صورة لفكرته وليست صورة لذاتها" (١). وتصوير لواقعة النفسى وعالمه الشعورى .

وللبناء التصويرى عند شاعرنا " صابر" فى بعض قصائده شكل إبداعى جديد لايقوم على تآلف الصور الجزئية فحسب، ولكنه يقوم على عدة مشاهد كلية منفصلة عن بعضها ، ومع هذا فكل مشهد منها يمثل لبنة من

---

(١) التفسير النفسى للأدب ، د.عزالدين إسماعيل ، ص ١٠٨ بتصرف.

لبنات الصورة الكلية للقصيدة ، وهذا الشكل يعرف بالتوقيعات ، والتوقيعات شئ يرتبط بعملية التصوير أكثر من ارتباطه بعملية البناء، حيث نصادف فى القصيدة مجموعة من المشاهد المنفصلة بعضها عن بعض كل الانفصال، ويكاد كل مشهد فيها يقوم بذاته، ولكننا مانلبث أن ندرك إدراكا مبهما أن شيئا مايصادفنا فى كل مشهد ، كأنه يتخذ فى كل مرة قناعا جديدا حتى إذا ماانتهت القصيدة، أدركنا أن هذه المشاهد لم تكن أقنعة بل مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة، وأن الفكرة وقد ملأت نفس الشاعر تبدأ تتراءى له من خلال كل ماتقع عليه عينه ، ومايقع عليه حسه، وماهو مستخف فى نفسه من تراث إنسانى وروحى"[1].

وقصيدة الشاعر " عزف منفرد أمام مدخل القرن الواحد والعشرين " تمثل ذلك البناء التصويرى خير تمثيل ، فقد " تشكلت هذه القصيدة من سبعة مقاطع : مقدمة وخمسة مشاهد وخاتمة ، وكل مشهد يشكل ملامح وجه يجسد مأساة القرن العشرين"[2] . وهى فى النهاية تمثل فكرة واحدة هى محاكمة القرن العشرين[3]. وهى تجسيد لتجربة الشاعر الشعرية والشعورية .

وكما أبدع الشاعر فى رسم صوره الكلية أبدع فى صوره الجزئية ومن صوره الجزئية التى ابتكرها خياله قوله :

قلبى على الأسفلت يجرى[4] ..... والظل يلهث خلفنا

ولم نر قلبا يجرى على الأسفلت وظلا يلهث إلا فى خيال شاعرنا، وهى بلاشك صورة عجيبة وفريدة .

---

(١) التفسير النفسى للأدب ، ص ١١٢.

(٢) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨م.

(٣) أنظر ديوان الحلم والسفر والتحول ، ص ٦٥ ومابعدها، وأنظر ماقلناه فى معرض حديثنا عن شعره الوجدانى

(٤) المرايا وزهرة النار ، ص ٢١.

وقوله فى وصف الدهر :

وتضحك إن أنت ضحاياك ساخرا وتشرب من عمر الحزانى وتسكر[1]

وإلى جانب الصور الجزئية التى أبدعها خياله نجد بعض الصور قد شابها الضعف ومنها قوله فى الفخر :

لو قطعونى ألف قطعة [2]

ورموا بجسمى فوق شاطئ كل ترعـــــــــــه

أو شتتوا فكرى ولم ألق الذى يسطيع جمعـــه

أو كبلونى بالأســـى

أو أرضعونى من حليب سياطهم مليون رضعه

لن تذرف الـــــعين الأبيـــــة أى دمعـــــه

فتشبيه وقع السياط بالحليب الذى يرضع تشبيه ضعيف أضعف الصورة والمعنى ولو صور وقع السياط باللهيب الذى يرضع لكان أبلغ فى التصوير وأقوى فى أداء المعنى .

ومع هذا فإننا نستطيع أن نقول إن شاعرنا " صابر" قد طوع كل فنون البلاغة العربية من تشبيهات واستعارات وكنايات ومحسنات بديعية جاءت وليدة الطبع بلا تكلف – وغيرها لإبراز صوره الشعرية – وتجسيد خواطره وأفكاره وتجاربه الشعرية والشعورية ساعده فى ذلك خياله الخصب، وعاطفته القوية ، ومعجمه اللغوى الموحى ، وحسه الموسيقى ، وإدراكه لدلالة الألفاظ ورموزها وإشاراتها وإيحاءاتها وقد أدى تآلف ذلك كله إلى تألق صوره الشعرية وجلائها وترادفها وانثيالها وتآلفها مع مشاعره ، مما أضفى عليها الكثير من الروعة والتأثير .

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ٩٤.

(٢) المسافر فى سنبلات الزمن ، ٦٣.

المبحث الرابع

المعانى والأفكار:

لقد جاءت معانى شاعرنا "صابر" وأفكاره فى مجمل شعره قريبة المأتى واضحة القصد سهلة التناول ، بعيدة عن الغموض والتعميق الفلسفى ، كما جاءت فى معظمها قوية مجسدة لمشاعره ، ومعبرة عن انفعالاته ومجمعة لمعاناته ، لاتكلف فيها ولاتصنع.

ويرجع وضوحها إلى وضوح الألفاظ وسهولتها وسماحتها وموائمتها لمعانى الشاعر وأفكاره فضلا عن إبراز المعنى عن طريق التشخيص وأسلوب الحوار ، واستلهام معانى القرآن الكريم.

وقد تأثر شاعرنا بمعانى السابقين فجاءت فى ثنايا شعره ومن ذلك قوله:

ولقــــد ذكرتك فانتفضت كزهرة .. عبثت بنضرة حسنها الأمطار[1].

والمعنى مأخوذ من قول أبى صخر الهذلى:

إذا ذكرت يرتاح قلبى لذكرها .. كما انتفض العصفور بلله القطر[2].

وقوله :

وإنى لتعرونى لذكراك هــــزة .. كما انتفض العصفور بلله القطــر

وقد يأخذ الشعر المعنى ويلبسه ثوبا قشيبا يضفى عليه رونقاً وجمالا ، ومن ذلك قوله :

ماكل مايتمنى المرء يدركه .. فالرمح يطعن مالا يبتغى الرامــــى

فهو مأخوذ من قول الشاعر:«المتنبى»

ماكل ما يتمنى المــــرد يدركه .. تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٤٤.

(٢) الشعر والشعراء ، جـ٢ ، ص ٥٦٨.

وقوله :

في كل شئ يا إلهي آية .. دلت عليك وما سواك بخاطرى

وهو مأخوذ من قول الشاعر:

وفـــى كـــل شئ له آية .. تـــدل على أنـــه الواحـد

وقوله:

فنحـــن ودائع حفظت لحين .. وذى من شانها أن تســـتردا

وهو مأخوذ من قول الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع .. ولابد يوما أن ترد الودائع

ولشاعرنا إلى جانب هذه المعانى التى أبدع فى إعادة تشكيلها وأجاد فى تناولها – معان جياد مستوحاة من عصره وبيئته ، ومنها قوله:

معلق بين تاريخى وأحـــــلامى .. وواقعى خنجر فى صـــدر أيامـــى
أخطو .. فيرتد خطوى دون غايته .. وما بأفقى سوى أنقاض أنغـــام
تناثرت فى شعاب الحلم أوردتـى .. وفى دمائى نمت أشجار أوهامـــى
مدائن الفجر لم تفتح لقافلتـــى .. والخيل .. والليل .. والبيداء قدامى!!!
والسيف والرمح فى كفى من زمن .. لكننى لم أغادر وقع أقدامـــى !!

فالشاعر هنا يبين حركة الصراع الدائر بين تاريخه المشرق وواقعه المر، وأحلامه الزاهية وأوهامه اللامتناهية ، كما يصور لنا الصراع النفسى الذى استولى على كيانه، وأثر هذا الصراع بين الماضى والحاضر والمستقبل على نفسه ومشاعره . وقد أجاد الشاعر فى اختيار الألفاظ المعبرة عن هذا الصراع مثل : معلق – فيرتد – تناثرت – فى دمائى نمت أشجار أوهامى – لم أغادر – لم تفتح . واستخدام الشاعر للأفعال الماضية والمضارعة يجسد لنا ذلك الصراع بين الماضى والحاضر . وقد جاء استخدامه لضمير المتكلم فى قوله : تاريخى – أحلامى – واقعى – أيامى – خطوى – أفقى – أوردتى

– دمائى – أوهامى – قافلتى – قدامى – لكننى – أقدامى ، لتجسيد تجربته الشعرية ، ووصف مشاعره النفسية ، فضلا عن أنه يوحى بصدق تجربة الشاعر الشعورية والفكرية.

فالألفاظ تشعر بجو الصراع ، وتتفجر بتلك الشحنة المتدفقة ، وتوحى بالعواطف العارمة ، وتربط بين الجو الشعورى للشاعر والجو التعبيرى والإيقاعى بل والتصويرى . فالواقع خنجر فى صدر الأيام – وليس فى ظهرها فالصدر يوحى بأن الطعنة نافذة وقاتلة ، والخطو يرتد ، ولفظة يرتد توحى بسرعة الارتداد بمجرد التفكير فى الخطوة وهو ماتوحيه أيضا الفاء "والأوردة تتناثر" وهى توحى بالتمزق النفسى الذى يعانيه الشاعر وشعاب الحلم ، ولم يقل الأحلام ، إذ أن لفظة الحلم مفردة توحى بالتفتت والتبدد واليأس من الالتئام ، وهو إيحاء لاتوحى به كلمة أحلام والدماء تنمو فيها أشجار الأوهام. وليس الوهم وحده ، وهى توحى بالخداع والتيه والضياع "والليل" يوحى باليأس المطبق والكآبة والقتامة "والبيداء" توحى بالمتاهات الشاسعة التى ترغم الشاعر على الارتداد وعدم الإقدام حيث لا أمل ولا رجاء.

ولاشك فى أن هذه الألفاظ بصورها الخيالية ، وظلالها النفسية وإيحاءاتها الشعورية ، وإيقاعاتها الموسيقية ، قد أدت دورها فى إبراز المعنى وتعميقه ، وتصوير الجو النفسى للشاعر.

ومن المعانى الجياد قوله:

كل مـــــا ألقاه يجنى الخيـــــر منى
وأنا أسقيه ذاتى وهو يسقينى التمنى

وكلمة " ما " التى تدل على العاقل وغيره تدل على عموم خير الشاعر لكل ماحوله . ولو قال الشاعر " من " لضعف المعنى.

ومن المعانى الجياد قوله :

إنى أنــا النهر المسافر بالعطا .. ء ولن يعوق الصخر عنف مسيرتــى

وللتشخيص والحوار دور كبير فى إبراز أفكاره ومعانيه ، وقد شخص شاعرنا " الطبيعة" بكائناتها حتى تحولت فى شعره " إلى رموز حية تضئ الواقع ، وتفتح أمام النفس دروب المعرفة[1] فالسحابات حبلى ، والسنابل تبكى ، والسواقى تئن ، والطير يأسى للشاعر ، والروابى والزرع والأشجار تأتى إليه تشاركه أشجانه وتخفف أحزانه ، والشمس عين الوجود والكون ينفق ويموت ، والورد يغنى ، والليالى تعوى ، والصخر يبسم ، والأصائل تسهر ، والزوارق تغنى ، والرياح تعزف ، والظل والماء والأشجار خاشعة ، وهالات الشمس تضحك .. وقد استطاع الشاعر من خلال تشخيص الطبيعة ومناجاتها أن يعبر عن ذاته ويترجم عن مشاعره ، وينقل معانيه وخواطره من خلال مظاهرها ، وقد استشهدنا بكثير من أشعاره فى الطبيعة فى معرض حديثنا عن شعره الوجدانى مما يغنى عن تكراره هنا .

وكما اعتمد الشاعر فى إبراز أفكاره ومعانيه على التشخيص اعتمد أيضا على الحوار وهو حوار بعيد عن الجدل المنطقى ، والتفكير الفلسفى ، ولذلك أدى دوره فى توضيح الفكرة وإبراز المعنى ، فالشاعر فى رصده للتاريخ يستوقفه هذا المشهد الذى وقع بين " أسماء " وولدها " عبدالله بن الزبير" ومادار بينهما فى مواجهة الظلم والطغيان والاستبداد فإذا به يعيد تشكيل ماجرى بينهما من حوار ليبث فى النفوس روح الحمية والثورة والتحدى والبطولة وحب التضحية والفداء فى سبيل الخلاص من الظلم والطغيان والاستبداد والوصول إلى " الحرية " الغائبة عن سماء الوطن ، وهى معان تفور فى أعماق الشاعر فأبرزها فى هذا الحوار :

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية . عام ١٩٨٨م

يا عبد الله

لا حاكـــم إلا الله(١).

لا تعط السارق بستانك

لا تترك فى وجه الإعصار الأهوج أغصانك

يا أماه : لا أخشى أن أستشهد أن أتلاشى فى نور الله

أن أنفق آمالى وشبابى فى استثمار طريق الله

أن أغدو معبر أمن ونجـــاة ..

لضميـــــرصفـــاه

الألم العذب ولم يتحول عن وجه الله

إلى آخر هذا الحوار الذى عبر الشاعر من خلاله عن أفكاره ومعانيه وبخاصة الأفكار الثورية التى تندد بالحكم الفاسد ، والأوضاع السيئة.

وقد أولى شاعرنا المعانى الإسلامية اهتماما كبيراً فأكثر فى تضاعيف شعره من الحديث عن الوحدة والتعاون ، ونبذ الفرقة والتعصب والعنصرية وغيرها من المعانى التى استمدها من ينبوع القرآن الكريم ، واستولت على مشاعره وكيانه والتى تدل على تشبعه بروح الإسلام وقيمه ومبادئه ، واعتزازه بالتراث الإسلامى الأصيل ، وقد أوردنا كثيراً منها فى معرض حديثنا عن ثقافته الإسلامية وأغراضه الشعرية مما يغنى عن تكرارها هنا .

وكثيرا ما كانت تأتى معانى الحكمة بين ثنايا قصائده ، وهى حكمة لاتفلسف فيها ولا غموض ، ولايحتاج القارئ معها إلى الاطلاع على كتب الحكمة والفلسفة لفهمها ، وذلك لسهولتها ووضوحها ، ولكونها مستمدة من تجارب الشاعر فى الحياة ومنها قوله فى وصف الدنيا:

الحلو فيها علقم والسعد فيـ .. ـها شقوة ومتاعها متفانـــى(٢).

إن أبدت اللمعان فى أفعالها .. فالفتك كل الفتك فى اللمعان

لا تغترر بقدومها حتـــى وإن .. أبدت ملاستها مع التحنـــان

فحنانها كحنان لص غـــادر .. والسم تحت ملاسة الثعبـــان

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٢٩.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٦١ وعروض البيت انتهت بكلمة السعد، فاختل الوزن الشعرى والصواب ما أوردناه هنا

وقوله :

من يخف من وعرة الطود يعش .. عيشة الدود ذليلا فى الحفر[1]

وقوله:

يهون الصعب عند رجوع حق .. وإن الحق مهما غاب يبدو[2]

وإذا كانت معانى الشاعر " صابر عبدالدايم" قد جاءت فى معظمها واضحة القصد قريبة المأتى فقد شابها الغموض فى بعضها ويرجع ذلك الغموض إلى اعتماد الشاعر على الرمز وإيغاله فى استعماله " والشاعر يعمد إلى الرمز حين لايريد المجابهة بالإنكار .. وهنا تكتسى القصيدة غلالة من الغموض يحدد الشاعر كثافتها بدقة"[3].

ومن ذلك قوله:

سيارتى تعدو برغم إشارة حمراء قالت : قف هنا
ومرقت لا أحنى خطاى إلى إشـــــارات المـــــرور
كــــأن بى مسا مــن الجـــــن المغامـــــر
عـــــرش بلقيس يحــــث خطــــاى

إلى أخر القصيدة .. ولو رحنا نسأل القارئ : ماذا فهم من هذا القول؟ لأجاب على الفور : لاشئ . وإذا سألنا الشاعر لماذا تقول مالايفهم؟ لقال لنا :"هذا هو الشعر . مملكة قائمة بذاتها ، رمز مغلق ، أداة لمعرفة خاصة لاتفهم إلا بطريقة غامضة ، وماذا نفهم من الزخرفة؟ وماذا نفهم من الموسيقى"[4]. ولقال ثان كما قال أبوتمام : " لماذا لاتفهم مايقال"؟ ولقال ثالث : " إننى أكتب للجيل القادم لأنه سيفهمنى .. ولقال آخرون : على المتلقى أن يكون على مستوى الغموض بدلا من الشكوى"[5].

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٦٥. (٢) نبضات قلبين ، ١٩.

(٣) المرايا وزهرة النار ، ص ١٢٤.

(٤) الأهرام بتاريخ ١٨/٧/٩٠ ص ١٤ مقال بقلم : أحمد عبدالمعطى حجازى.

(٥) الجمهورية بتاريخ ١٧/٥/١٩٩٠م ، ص ١٤.

ولنا أن نتساءل : لماذا يقول الشاعر الشعر ؟ والجواب سهل ميسور : لكى ينقل تجاربه الشعرية وأفكاره إلى المتلقى بطريقة تؤثر فيه ، وتسمو به إلى عالم الشاعر الشعرى والشعورى ، وماذا لو فقد الشاعر التأثير فى المتلقى ، هل يعد شعره شعرا ذا قيمة ؟ والحقيقة التى لامراء فيها أن الشعر واسطة بين الشاعر والمتلقى ، فإذا فقد الشاعر الوصول إلى المتلقى والتأثير فيه فشعره لاقيمة له ولاطعم ولا لون ولا رائحة .

وخير له أن يسكت عن الكلام المباح إذا كان شعره غامضا غموض الليل مهيض الجناح .

وإذا كانت بعض معانيه قد شابها الغموض فقد جاءت فى كثير منها وبخاصة فى ديوانه الأول قريبة من معانى العامة والطوابع المحفوظة ومنها قوله :

لو كان ينجو من أذاها واحد .. لنجا محمد سيد الأكوان(١).

وقوله :

خليل الله لم يحرق بنـــار .. لأن سناك فيه مستقـــر(٢)
تحامى صاحب الطوفان فيكم .. فلم يغرقه طوفان وبحـــر
ونجى الله عيسى من طغـــاة .. فلم يلحقه إيذاء وشـــر

وقوله :

فالبس الصبر وأبشر يا أخى .. فإله الكون يجزى من صبر(٣)

كما جاءت بعض معانيه ضعيفة يشوبها التكلف والابتذال ومن ذلك قوله مصورا الحوار الذى دار بين الله عز وجل وبين ملائكته بشأن آدم عليه السلام:

إنا عباد فى العشى وفى الضحى .. منا بذاتك ينبع الإعجـــاب(٤)
وهو العصى وفى البسيطة فاسد .. أفدوننا يحظى بها ويثـــاب
فأجابهم . لو كان صدقا زعمكم .. ماهذه الأسماء والأنســـاب

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٦١.
(٢) نبضات قلبين ، ص ٤٠.
(٣) نبضات قلبين ، ص ٦٥
(٤) نبضات قلبين ، ص ٧٧.

فاستعمال كلمة " لو" فى جانب الله ، وكلمة "زعم" فى جانب الملائكة أضعف المعنى . ولو قال الشاعر : قولكم بدلا من زعمكم لكان أجود.

ومن المعانى الضعيفة قوله فى بيان موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الشعراء:

لم توصد أبوابك إلا فى وجه الشعراء[1]

وما شعرحسان ، وكعب ، وابن رواحة ، والخنساء وموقف رسول الله منهم منا ببعيد ومنها قوله على لسان عبد الله بن الزبير :

لكن يا أماه:[2]

ما أقسى تمثيل الحجاج إذا عانقت الخلد
وحلقت رضيا فى ملكوت الله

وفى هذا ما فيه من تناقض المعنى واضطراب للفكرة والصورة ، إذ كيف يشعر الإنسان بقسوة العذاب وبشاعة التمثيل بجسده وهو يعانق الجنان ، ويحلق راضيا فى ملكوت الله !! ولو قال : ما أشهي أو ما أحلى أو ما أعذب تمثيل الحجاج .. لكان أجود وأوفق.

وقد تخرج معانيه من الضعف فتقع فى المبالغة غير المقبولة ومن ذلك قوله:

وسيوف العصبية تحمى مجد أمية[3]
تصلب حتى من فى الأرحام الظمأى لعلى

وقد سبق " أبو نواس" شاعرنا فى هذه المبالغة غير المقبولة وذلك فى قوله : وأخفت أهل الشرك حتى إنه .. لتخافك النطف التى لم تخلق[4]ومع هذا وقع شاعرنا فيها.

---

(١) المرايا وزهرة النار ، ص ٦٠.
(٢) المسافر فى سنبلات الزمن، ص ٢٩.

وعلى كل . فقد جاءت المعانى والأفكار فى شعر شاعرنا " صابر " متباينة قوة ورقة حسب الموضوعات التى تناولها فى شعره ، مستمدة من ينابيع الإسلام ، وحبه العميق لوطنه الإسلامى الأكبر وتراثه الخالد ، ووطنه " مصر " بنيلها وتاريخها وأصالتها ، ومعبرة عن قضايا الوطن وهمومه وآلامه وآماله ، بل وقضايا الإنسانية المعذبة فى دياجير الظلم والفساد.

المبحث الخامس

القيم الصوتية والموسيقية:

تعتمد الموسيقى فى شعر شاعرنا " صابر " على ركيزتين أساسيتين:

الأولى : تتمثل فى الموسيقى الداخلية ، وهى التى تنشأ من ائتلاف الألفاظ وانتقاء العبارات.

والثانية : الموسيقى الخارجية وتتمثل فى الوزن والقافية.

وقد أجاد شاعرنا فى اختيار الألفاظ والتنسيق بين العبارات ، والمقابلة بينها ، وتكرارها ، ووضعها فى القالب الموسيقى الأخاذ ، الذى يثير المشاعر ويستميل الآذان ، ويدغدغ النفوس ، ومن مظاهر هذه الموسيقى الداخلية " التكرار الصوتى " الذى يعد بمثابة إلحاح على تأكيد القيمة الصوتية والجانب الغنائى فى القصيدة ، ومن ذلك قوله :

فكلها ، كلها تهـــــــاوت .. وبعثرت فى دجى المغيب[1]
ونحن مانحن غير طيـــــــف .. يلوح فى غفـــوة الهروب

وقوله :

وسفينة كل الأحرار[2]
هو ذاك الإصــــرار
نحيـــــا فـــى ظـــل الإصـــــرار
نشقى حتى تسعـــــد روح الإصــــــرار
فحياة الثوار . إصرار ، إصرار ، إصرار

وتكرار كلمة " حرية "[3] ثلاثا ، وكلمة " سقطوا "[4] ثلاثا ، وكلمة " أقرأ " فى قوله: أقرأ ، أقرأ ، ياعثمان ... أقرأ آيات الرحمن[5]

---

(١) الحلم والسفر والتحول ، ص ٩٠
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٨
(٤) المرجع السابق ، ٦٣.
(٥) المرجع السابق، ص ٥٧.

وقوله : أنادى عليك :

فأقبل . على راحتيك الحدائق تنبت عزم الرجال[1].

وأقبل . بعينيك فجر التحدى يمزق ليل المحـــال

وأقبل . وفى خطوك المطمئن شموخ الجبـــــال

وقد لعب هذا التكرار دوره فى الايقاع الموسيقى والتوازن الحركى بين العبارات وتفجير طاقات الشاعر الموسيقية ، فضلا عن تأكيد المعنى ، ونمو البناء العاطفى والتجاوب مع انفعالات الشاعر النفسية.

ومن مظاهرها " الجناس " وللجناس أثر أيما أثر فى النغم الموسيقى ومن ذلك قوله :

فى ثور .. يغلى بركان الثوره[2].

من ثور .. تنفجر أنهار الثوره

وعلى ثور .. يلقى الأفق بنار الحق لتحرق أعداء الثوره

وإلى ثور .. تركض خيل الحب لتسحق من هب لاطفاء الثوره

وقد أدى هذا الجناس الاشتقاقى بين ثور ، وثورة - دوره فى تأكيد المعنى وتقويته ، فضلا عن جمال الايقاع.

ومن مظاهرها " حسن التقسيم " أو التوافق النغمى وهو مقوم من مقومات الايقاع الموسيقى يصبح معه البيت الشعرى وكأنه مكون من عدة فواصل موسيقية متعددة الأنغام ، وهو يدل على مهارة الشاعر فى اختيار الألفاظ وتنسيقها ووضعها فى القالب الموسيقى . ومن ذلك قوله:

واللب فى خبل والروح فى ظمأ .. والنفس فى حزن والدهر قد خانا[3]

والأذن فى صمم والجنب لم ينم .. والدمع أذرفه شعرا وأوزانـــــا

---

(١) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٥٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٣) نبضات قلبين ، ص ٥٥.

وقوله :

عذراء طاهرة .. هيفاء فاتنة .. قلبى بطول هوانا قد دعا الله(١)

وقوله:

الحب قبلته .. والطهر معبده .. والخير رائده .. للحق مسعاه(٢)

ومن مظاهرها أيضا فى شعره " التصريع" وهو يدفع بالمتلقى إلى الجو الموسيقى للقصيدة من أول بيت فيها ، ويربط بين عروض البيت وضربه فى القافية الواحدة فينشأ الجرس الموسيقى الذى تطرب له الآذان ، ويضفى على ايقا ع القصيدة رونقا وجمالا ، ومن ذلك قوله:

القلب للسريا حواء قد صانه .. وأنت لم تستطيعى اليوم كتمانه(٣)

وقد أشار الدكتور/ فتحى أبوعيسى فى دراسته لقصيدة "ثلاث أغنيات للشرا ع " إلى ظاهرة التصريع فى شعره فقال: " ومن اللفتات الغنية الجيدة فى قصيدة د. صابر هذا التصريع الذى يصافح مسامعنا فى البيت الأول من القصيدة حيث صير آخر المصرا ع الأول منه مثل قافيته(٤)

ياشرا ع الرجاء رفقا بنفسى .. أنها الآن نهب طوفان يأسى

ثم العودة إليه فى بداية الأغنية الثالثة:

ياشرا ع الرجاء قلبى يغنى .. إذ تهاديت وسط آفاق ظنى

ولسنا مع د. فتحى أبو عيسى فى هذا الشعر الذى استشهد به فليس فيه تصريع يذكر فقد جاءت العروض صحيحة لم يلحقها تغيير بالزيادة أو بالنقص فكيف يكون تصريعا؟

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩.
(٢) بنضات قلبين ، ص ١٣.
(٣) المسافر فى سنبلات الزمن ، ص ٩٦.
(٤) جريدة الندوة السعودية ، وجريدة المسائية السعودية ، ١٩٨٥م.

ولايخفى على فضيلته أن مساواة العروض للضرب فى الوزن والروى دون تغيير فى العروض يعد تقفية لاتصريعا ، وتعد ظاهرة التقفية فى مطالع قصائده من سمات شعره الموسيقية.

ولاشك فى أن هذه المحسنات اللفظية التى جاءت عفو الخاطر بلا تكلف وتلك المقومات الموسيقية التى حفل بها شعره كان لها أثر كبير فى تحقق التوافق النغمى ، والجرس الموسيقى ، والايقاع العذب بين الأبيات مما يدل على مهارة الشاعر فى اختيار ألفاظه وتنسيقها، وإشاعة النغم الموسيقى فى ثنايا شعره.

وإلى جانب الموسيقى الداخلية تأتى الموسيقى الخارجية المتمثلة فى الوزن والقافية . والوقوف عليها لايحتاج إلى إطالة نظر . فقد تنوعت قصائد الشاعر " صابر " فى شكلها الموسيقى الخارجى ، فقد بدأ شاعرنا حياته الشعرية محافظا على الشكل الموسيقى للقصيدة العربية الأصيلة ، فنظم فى بحور الشعر العربى روائع تدل على حسه الموسيقى ، ثم جدد شاعرنا فى القافية فجاءت متنوعة فى القصيدة الواحدة مع المحافظة على وزن القصيدة ، ولشاعرنا فى هذا المنحى متسع ، وللشعراء فيه مندوحة ، فهو ضرب من التجديد المقبول ، وهو فى هذا متأثر بالشعر المهجرى.

ثم تحلل شاعرنا من الوزن والقافية جريا وراء التجديد فى الصياغة وشكل بناء القصيدة ، والذى دعا إليه دعاة النظم الحر ، وهو عين التبديد المتمرد على قيمنا التراثية وأصالتنا العربية ، وتجارة كاسدة وصفقة خاسرة، لاقيمة لها فى عالم الفن الشعرى الرفيع ، والنظم الخالد التليد الذى لايقبل المزايدة ، ولاينبهر بالأضواء الخادعة البراقة[1]. ولشاعرنا "صابر" رأيه فى هذا اللون التعبيرى كناقد أدبى – بعد أن خاض تجاربه – ومحاولة أنصاره خداع المتلقى له باطلاق اسم " القصيدة " النثرية" عليه ، يقول شاعرنا:

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ص ٥٨٨ العدد العاشر ، مقال ، د/عبدالله مهران.

"قصيدة النثر مصطلح متناقض ، وأنا أرفض هذا المصطلح ولاشئ من أنواع الشعر يسمى " قصيدة النثر" ... ومن ينادى بهذا الشكل ومن يبدع فيه أشبه بمن يقول: هذا إنسان حيوان أو هذا حيوان نبات .

فلكل نوع أدبى خصائصه ، ومهما تقاربت الصلات بين أجناس الأدب وأنواعه فستظل الحدود الفنية قائمة بينها"[1].

وما يسمى بالشعر الحر[2] ليس بشعر ولابحر ولكنه قر ، وإن شئت فهو ضر وليس له طعم بل هو علقم مر ، فأدعياؤه لم يستكملوا أدوات الشعر، ولم يتبعوا أصوله وبنوده ، بل تعدوا حدوده ، ولم يتفهموا معانيه ، ولم يفقهوا مراميه ، فنضب معينهم ، وغاصت ثقافتهم ، وقرحت قرائحهم ، وعجزت ملكاتهم عن نظم القوافى ، فراحوا يتشدقون بكلمات مرصوصة ، وطلسمات مصفوفة ، أعملوا الفكر فى جمعها ، وأجهدوا الذهن فى رصها ووصفها، فلاهى بالشعر ولا هى بالنثر ، وإنما هراء كاذب ، وزيف خادع ، وبرق خلب وزبد بحر ، وفقاقيع موج ، وسراب بقيعة ، وغثاء سيل ، يحسبه الشاعر شعرا وما هو بالشعر ، ويظنه القارئ نثرا وما هو بالنثر.

وقد تراجع شاعرنا " صابر " عن هذا الغثاء كما تراجع عنه من قبله من فحول الشعر وأئمة البيان أمثال : "عبد الرحمن شكرى ، والعقاد ، ونزار قبانى ، ونازك الملائكة" وغيرهم ممن نادوا إليه ، ثم أعرضوا عنه لخوائه وخوره ، ونفور الذوق منه ، وعدم استساغة الأذن له .

والمتتبع لنتاج شاعرنا " صابر" غير العمودى يدرك أن الشاعر فى طريقة إلى الأصالة التى زايلته بعض الوقت ، فقد كان يطعم نتاجه هذا بأبيات عمودية لغيره من الشعراء ، وأحيانا يعاوده الحنين إلى أصالته العربية فينظم أبياتا عمودية جامعا بينها وبين هذا اللون. بل فى هذا الاقدام نحو

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية ، سنة ١٩٨٨م وانظر كتاب التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث د . صابر عبد الدايم.

(٢) مايقال عن الشعر الحر يقال عن الشعر المنثور - أو الشعر المرسل - وكلها أسماء لكل ماخرج عن عمودية القصيدة.

الأصالة العربية ، والتمسك بالأوزان العروضية ، التى تشهد للشاعر بقوة الطبع ، وأصالة الموهبة ، وفيض الملكة ، وغزارة الشاعرية لاسيما وهو يعمل أستاذا للأدب العربى فى صرح جامعة الأزهر الذى يحافظ على الأصالة العربية ، ويقف فى وجه تيارات الإبادة والتبديد لكل مايعتز به العربى من قيم وتراث . وحبذا لو نهض شاعرنا بصياغة هذه المعانى التى أودعها هذا اللون التعبيرى فى القالب الموسيقى العربى الأصيل حتى يضمن لها البقاء والخلود والذيوع والانتشار.

والقارئ لشعر شاعرنا " صابر " والمتتبع لموسيقاه يستطيع أن يقف على بعض الخلل والاضطراب فى الأوزان الشعرية ، وقد أدى إلى هذا الاضطراب بعض الألفاظ التى لم يتحر الشاعر الدقة فى اختيارها ومن ذلك قوله فى قصيدة " أين الطريق إليك" :

ولقد نسينا والهوان سعى بنا .. للذكريات وما اقتفينا خطاكا(١).

فكلمة " اقتفينا " أخلت بالوزن الشعرى ، ولو قال الشاعر: " للذكريات فأين أين خطاكا " لاستقام الوزن الشعرى ، ولكان ذلك أقوى للمعنى وآكد له .

وقوله :

أحببت فيها صفاء كالضحى ألقا .. وأينما سرت أهوى نور محياها(٢)

والمحيا : الوجه . وقد أخلت هذه الكلمة بالوزن الشعرى . اللهم إذا أراد: "المحيا" بمعنى الحياة فيستقيم الوزن ويضعف المعنى.

وإلى جانب هذه الهنات العروضية نجد بعضا منها قد وقع نتيجة أخطاء مطبعية ومن ذلك قوله :

---

(١) القصيدة من بحر الكامل.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٨٩ والقصيدة ، من بحر البسيط.

إن الجمال تعفف ما أسعد الـ... قلب الذى فى ذا العفاف أذيبا[1].

فقد جاءت القاف فى نهاية العروض ، وحقها أن تأتى فى أول الشطر الثانى كما ذكرنا هنا.

وقوله :

بالعلم يبنى الملك والأخلاق تب...قى ذكره ودعاؤنا سيجاب[2].

لقد جاءت "الأخلاق" في نهايةالشطر الأول ، وبدأ الشطر الثانى ب"تبقى" والصواب ماذكرناه هنا .

وقوله :

اطردوا اليأس فكم من فرحة .. أشرقت من بعد حزن أو جراح[3]

وقد ورد الشطر الثانى من البيت هكذا :

أشرقت من حزن وجراح

ولايخفى مافيه من خلل عروضي

ومع هذه الهنات التى وردت فى شعره فإن شعره يمتاز بحلاوة الجرس، وعذوبة الإيقاع ، فضلا عن تلك الإنسيابية الموسيقية التى يشعر بها المتلقى فتهش لها نفسه ، وينتشى بها حسه ، وتطرب لها آذانه ، ويتراقص لها وجدانه . ولا أكون مبالغا إذا قلت إن الموسيقى تعد من أهم وأبرز الخصائص الفنية فى شعر شاعرنا الحالم . د/صابر عبدالدايم.

---

(١) نبضات قلبين ، ص ٩ والقصيدة من بحر الكامل.

(٢) نبضات قلبين ، ص ٧٨ ، والقصيدة من بحر الكامل.

(٣) نبضات قلبين ، ص ١٦ والقصيدة من بحر الرمل.

وبعد . فهذا علم من أعلام الأزهر الشريف . وشاعر من شعرائه . ما زال يصدح فى رياض الشعر ، ويعزف على قيثارة النغم ، ويحلق فى عالم الأدب ، ويحوم فى آفاق الفكر ، ويركض فى مضمار القريض ، ويسبح فى أعماق الشعور والوجدان ، ويطوف فى دنيا الجمال والخيال

فشعره ثوب الحس ، وبضعة من النفس ، وقبس من الفكر ، يقرأه القارئ فيجد فيه نفسه ، ويسمع نبضات حسه ، ويرى فيه صورة مجتمعه ووطنه وأمته وكونه ، وهى صورة لا يشوبها كلف ، ولا يعكر صفوها كدر .

فهى صافية صفاء السماء ، موشحة بقوة العاطفة ، ورهافة الحس وعمق الشعور ، ودقة الفكر ، وعذوبة اللفظ ، وحلاوة الجرس ، وطهارة الحب ولوعة الحزن ، وصرخة الضمير ، وأنات الغريب ، وآهات الشريد ومأساة الإنسان ، وغربة الزمان ، وثكل الأوطان ، وبرد الإيمان ، وإشراقة الأمل ، وسعة الأفق ، ورحابة الخيال .

إنه الشاعر الحالم الدكتور صابر عبد الدايم ، وهو كما قلت من شعراء الأزهر الشريف المعاصرين ، وما أكثر شعراء الأزهر عبر العصور وبخاصة فى عصرنا الحديث ، وما أقل الدراسات التى كتبت عنهم – حتى أصبح أكثرهم فى عالم النسيان ، وغدوا دليلا على عقوق الأبناء وجحود الأحفاد .

ولعل هذا هو ما حدا بأستاذنا وأستاذ الجيل شيخ الأدباء والنقاد الدكتور / «محمد عبد المنعم خفاجى» – إلى اتهام الشباب العربى بالتقصير حيال شعرائه وأدبائه وذلك فى معرض حديثه عن الشاعر «الشرنوبي» حيث يقول «أسوق هذا كله لأقول للشباب العربى إنه مقصر غاية التقصير حيال شعرائه وأدبائه ومفكريه حتى المعاصرين منهم

الذين يضيع تراثهم بين الإهمال والتقصير » ثم يختم قوله بهذه النتيجة المحزنة « وهكذا نعيش فى حاضرنا الأدبى بين تقصير محزن وإهمال مريز » .

ومع هذا فإن أستاذنا يرى أن هناك بصيصاً من نور ما زال يشق أجواء الأدب ، ويسطع فى جنباته ، ولولاه كما يقول فى مقدمة كتابه : « دراسات فى الأدب والنقد » « ولولا قبس من نور » وتشجيع لماتت عبقريات كثيرة من أدبائنا الأعلام ، ودفنت آثارها الفنية إلى الأبد » .

ولعلنى بهذا الجهد الذي بذل فى هذا البحث ، وهو جهد المقل – أكون قد أسهمت بعض الشئ فى الابقاء على هذا القبس وأضأت إلى جواره شمعة تنير فى سماء حاضرنا الأدبى ، ووضعت به لبنة فى صرحنا الأدبى السامق ، الذي أسست قواعده فى رحاب الأزهر الشريف .ويجدر بنا أن نذكر أهم نتائج البحث ونوجزها فيما يلى :

١- اتكاء الشاعر على المعجم القرآنى لفظا ومعنى وصورة ، وتوظيفه لخدمة أفكاره وتصوير مشاعره .

٢- براعة الشاعر فى التصوير بالكلمة ، والإفادة من كل ماتحمله من دلالات وإيحاءات ورموز وإشارات .

٣- قدرة الشاعر على استدعاء التاريخ وتمثل أحداثه ، وبعثها فى نتاجه الشعري ، والمزج بينها وبين الحاضر مزجا فنياً مؤثرا ليعيد صياغة الحاضر الأليم من خلال الرؤية الإسلامية لتاريخنا العريق .

٤- الاتجاه بالشعر الوجهة الإسلامية من خلال بيان وظيفة الشاعر ورسالته فهى رسالة تدور فى فلك الحب والحق والعطاء ، وتحلق فى أجواء الطهر والصفاء والنقاء .

٥-إعراض الشاعرعن الهجاء لما فيه من خروج عن منهج الاسلام وهو

بهذا يضع لبنة فى صرح الشعر الاسلامى الذي يبنى ولايهدم ، ويجسد القيم والفضائل والمثل العليا .

هذا ومازال المجال مفتوحا أمام الباحثين لدراسة شعر شاعرنا الدكتور صابر عبدالدايم ، وسبر أغواره ، واستكناه أسراره . وحسبى أننى ألمت إلمامة بشعره ، وأمطت اللثام عن موهبة شعرية ترعرعت فى رياض الأزهر الشريف ، ووجهت الأنظار إلى مايضمه الأزهر من شعراء مشهورين ، وعبقريات مطمورة ، ومواهب مغمورة . وقد آن الأوان لكى تأخذ حظها من الدراسة ، وموقعها المميز على خارطة أدبنا العربى .

توصيات الباحث :

١- أهمية العناية بتراث الأزهر الشريف الأدبى عبر العصور الأدبية ، والعمل على بعثه وإحيائه لما يحمله من خصائص إسلامية ، وغايات إيمانية ، وقيم أخلاقية .

٢- العناية بالأدب الإسلامى الذى يقوم النفس ، ويرقى بالحس ، ويسمو بالروح ، ويحلق بالإنسان فى عالم النبل والطهر والأخلاق العالية

٣- دراسة شعراء وأدباء الأزهر الشريف وبيان أثرهم فى عالم الإبداع الأدبى دراسة موضوعية وبخاصة المعاصرين منهم لما فى هذا من تشجيع للشعراء وحثهم على المنافسة والإجادة ، فضلا عن ازدهار الحياة الأدبية .

٤-العمل الجاد على إيجاد وسائل نشر تعنى بنشر النتاج الأدبى لأدباء الأزهر وباحثيه وشعرائه وناقديه ، ودعمها ماديا ومعنويا . هذا والله من وراء القصد وهو هادي السبيل

د . صادق حبيب

فهرس المراجع

١- الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق: د. صابر عبدالدايم يونس . الطبعة الأولى . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . دار الأرقم.

٢- تاريخ الأدب الحديث : د. حامد حفنى داود . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م

٣- التفسير النفسى للأدب : د. عزالدين إسماعيل .الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٤م.

٤- جمهرة أشعار العرب: لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى . دار صادر بيروت للطباعة ، والنشر ، سنة ١٩٦٣م.

٥- الحيوان : للجاحظ : تحقيق عبدالسلام محمد هارون - بيروت ١٩٦٩م

٦- دراسات فى علم النفس الأدبى: حامد عبدالقادر ، طبعة سنة ١٩٤٩م.

٧- ديوان الحلم والسفر والتحول : د. صابر عبدالدايم - سلسلة كتاب المواهب . سنة ١٩٨٣م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب..

٨- ديوان لآلئ الأفكار: عبدالرحمن شكرى ، سنة ١٩١٣م.

٩- ديوان اللحن الخالد : د. صابر عبدالاديم "قيد الطبع"

١٠- ديوان مدائن الفجر : د. صابر عبدالدايم " قيد الطبع"

١١- ديوان المرايا وزهرة النار :د. صابر عبدالدايم الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م

١٢- ديوان المسافر فى سنبلات الزمن : د. صابر عبدالدايم ، مطبعة الأمانة سنة ١٩٨٣.

١٣- ديوان نبضات قلبين : د. صابر عبدالدايم ، مطبعة الموسكى ، سنة ١٩٦٩م.

١٤- زهر الآداب : لأبى إسحاق الحصرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٩م.

١٥- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني : تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد . الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٢.

١٦- الشعر والشعراء : لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٧م.

١٧- الشعر العربى فى مأساة فلسطين : د. كامل السوافيرى

١٨- الشعر كيف تفهمه ونتذوقه : أليزابث درو

١٩- الصورة الشعرية : س. دى لويس ، ترجمة د. أحمد نصيف الجنابى وآخرون

٢٠- طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحى ، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة سنة ١٩٧٤م.

٢١- العبقرية فى الفن : مصطفى سويف ، المكتبة الثقافية ، عدد ٢٠ سنة ١٩٦٠م

٢٢- علم النفس والأدب : د. سامى الدروبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م.

٢٣- فن الأدب ، من مختارات شوبنهاور: ترجمة شفيق مقار ، سنة ١٩٦٦م

٢٤ - لسان العرب : لابن منظور ، طبعة دار المعارف.

٢٥- المجتمع فى شعر أحمد الزين : عبد الرحمن خليل إبراهيم طبعة سنة ١٩٦٤م.

٢٦- المدائح النبوية فى الأدب العربى: د. زكى مبارك طبعة دار الشعب. ١٩٧١م.

٢٧- معرفة الذات والآخر : د. غسان يعقوب

٢٨- هاشميات الكميت : للكميت بن زيد الأسدى ، تحقيق جوزيف هورفتس بريل ، سنة ١٩٠٤م.

٢٩- الوساطة بين المتنبى وخصومه : للقاضى الجرجانى.

الدوريات

١- جريدة "الأنباء" الكويتية سنة ١٩٨٨م

٢- جريدة "الأهرام" المصرية ، ١٩٩٠م

٣- جريدة "الجمهورية" المصرية ، ١٩٩٠م

٤- جريدة " الرأى العام" الكويتية ، سنة ١٩٨٨م

٥- جريدة "المسائية" السعودية سنة ١٩٨٥م.

٦- جريدة " الندوة " السعودية ، ١٩٨٧م.

٧- مجلة " الشعر" مصر ، عدد إبريل سنة ١٩٩٠م.

٨- مجلة " عالم الفكر" الكويت ، سنة ١٩٨٨م.

٩- مجلة " فصول" مصر . سنة ١٩٨١م

١٠- مجلة " كلية اللغة العربية بالزقازيق" سنة ١٩٩٠م

فهرست الموضوعات

المقدمة:	٥
تمهيد:	١١
الفصل الأول: الاتجاهات الموضوعية فى شعره ومنابع التجربة فيها	
المبحث الأول : مصادر شعره	٣٣
المبحث الثانى : مفهوم الشعر وغايته	٤٥
المبحث الثالث : رسالة الشاعر ووظيفته	٥٥
المبحث الرابع : الاتجاه التقليدى فى شعره ويتمثل فى :	٥٩
أ) المديح	٦٠
ب) الرثاء	٦٧
جـ) الغزل	٧٣
المبحث الخامس : الاتجاه التجديدى فى شعره ويتمثل فى	
أ) الاتجاه الوطنى .	٧٩
ب) الاتجاه الاجتماعى	٨٦
جـ) الاتجاه الوجدانى.	٩٣
الفصل الثانى : الاتجاهات الفنية فى شعره	
المبحث الأول : مقدمات قصائده	١٠٦
المبحث الثانى : الألفاظ والتراكيب.	١٠٩
المبحث الثالث : القيم التصويرية	١١٩
المبحث الرابع : المعانى والأفكار	١٢٧
المبحث الخامس : القيم الصوتية والموسيقية	١٣٧
الخاتمة	١٤٥
فهرس المراجع	١٤٨
فهرس الموضوعات	١٥١

رقم الإيداع ٣٥٠٢/ ٩٢

I. S .B .N 977- 5101-39 -5